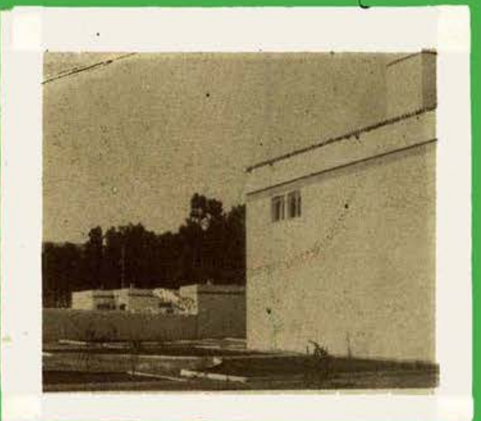


اللســان المركزى للمنظمــة الوطنيــة للمجاهديــن

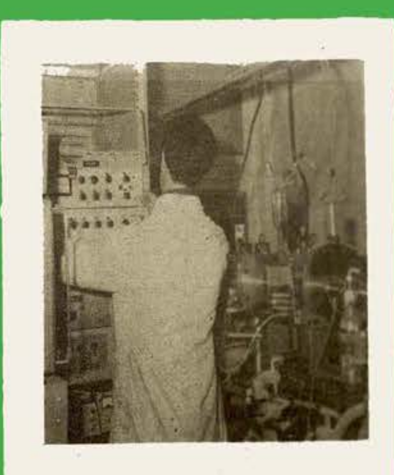
العدد السابع – اوت ١٩٧٤ – رجب ١٣٩٤ هـ الثمن ١ د ج













رجب 1394 هـ الثمن 1 د ج

العدد السابع ــ أوت 1974

أول نوفمبر

مجلة المجاهدين

محتوى العدد

مجلة

سياسية اجتماعية ثقافية

تصدر عن :

المنظمة الوطنية للمجاهدين

الإدارة والتحرير

فيلا بومعراف

شارع أحمد غرمول

الجزائر

الهاتف : 65.81.44

Adresse :
Villa BOUMAARAF
23, Av. Ahmed GHERMOUL
Tél. : 65.81.44. — ALGER

EN.A.P. — Imprimerie BEN BOULAID 3, Rue Khaled Khaldoune — ALGER

كلمـــة العــــدد

تحتفل الجزائر هذه السنة بذكرى من أبرز الذكريات التاريخية الخالدة لثورتنا المجيدة ، ذكرى 20 أوت ايوم المجاهد الذى ضرب فيه شعبنا أروع الامثلة فى التضحية والفداء ، ولقن العدو درسا فى البطـولة والكفـاح اثر الهجوم الشامل الذى قامت به طلائع جيش التحرير الوطنى يوم 20 أوت 55 فى الشرق الجزائرى ، تساندهم فى ذلك الجماهير الشعبية التى تؤمن ايمانا قاطعا بعدالة ثورتنا المجيدة ، التى جاءت تلبيـــة لمطامح شعبنا فى استرجاع حريته وكرامته ، والتخلص من العبودية التى كان يـــرزح تحتها مدة قرن وربع قرن .

وقد أحرزت الثورة فى هذا اليوم انتصارا عظيمـــا فى اسماع صوتها الى كل بلدان العالم ، وفندت كل الادعاءات المغرضة التى كان العدو يوجهها لها قصد تضليل الـــرأى العام العالمى وابعاد الشعب عن مساندته لها ، وخاب أملها فى توسع نطاق الثورة وتكاثر عددها يوما بعد يوم .

ولم يمض عام من هذا الهجوم حتى أعدت الثورة خطة تتمثل فى تقوية أسس الثورة نظاميا ودعم هياكلها بانعقاد مؤتمر واد الصومام الذى حضرته كل القيادات الثـورية وخرجت بميثاق يعتبر القاعدة الاساسية للثورة أوضحت منه كل المعالم الثورية وحددت فيه الشروط التـــى تساعد على انجاح الثورة وتعاهدت كل القيادات على تطبيق كل ما جاء فى هذا الميثاق حتى تتحقق كل الامال المتعلقة بالثورة المسلحة ألا وهو الحرية .

والحمد لله نحن الان نعيش فى ظل الاستقلال وبلادنا تخوض معارك شتى فى ميدان البناء والتشييد ، وتحرير البلاد من التبعية الاقتصادية ويتمثل ذلك فى الثورات الثلاثة الصناعية ، والزراعية ، والثقافية ، فلـــم يمض يوم الا وتحقق فيه انجازات هامة ، قرى فلاحية تبنى هنا وهناك مصانع وجامعات تشيد فى كل جهات الوطن ، تبنى بسواعد شبابنا الذى برهن بالتزامه للمبادىء الثورية وما برهان ذلك هو هاته الفرق التطوعية من الطلبة التى تجوب أنحاء القطر لمساعدة اخوانهم الفلاحين فى العمـــل من اجـــل النهوض باقتصاد شامل فى البلاد ، والتزاما لمبدأ استمرارية الثورة ووفاء منا لشهدائنا الابرار .

أول نوفمبر



20 أوت في ذكرى يوم المجَاهد





بداية الانطلاقة

يمثل هذا اليوم الذى نحتفل بذكراه ، يوما تاريخيا حاسما فى مسيرة النظال الشاق ، الذى خاضه شعبنا ، ضد الاحتلال الفرنسى الطويل ، وانه يوم أكثر تخليدا فى بلادنا منقوش فى قلوب أمتنا ، لانه يحيى فينا ذكريات الكفاح البطولى فى مسيرة ثورتنا المجيدة ورمزا لتضحيات شهدائنا ، وهى عبرة لشحذ العزيمة للتمسك بالمبادىء القويمة فى السير قدما نحو تحقيق الاهداف المنشودة التى سطرتها ثورة نوفمبر المباركة .

ويذكرنا بالموقف التاريخى الذى سجلته جماهير الشعب ولم تكتمل الثورة عامها الاول من اندلاعها لمعطى الدليل القاطع والبرهان الحاسم على ارادته فى النظال والبذل من أجل الحرية والكرامة مهما كلفه ذلك من تضحيات .

وبحلول شهر أوت 1955 (ذكرى يوم المجاهد دخلت فيه الثورة شهرها العاشر من عمرها ، وكان الاستعمار خلال هذه المدة ، يسعى بكل جهد لتضليل الرأى العام ، وابعاد الشعب عن الثورة حتى تبقى معزولة فى الجبال ليسهل عليه محاصرتها والقضاء عليها فى المهد عسكريا قبل أن تنضج ، وتنتشر فى المدن والقرى ، فتجد من يحميها ويغذيها فيصعب القضاء عليها .

فراح يطلق ابواق دعايته المغرضة ويبث سمومه فى أوساط الشعب بواسطة أجهزته الاعلامية المختلفة واعوان الاستعمار لتأليب الشعب ضد المجاهدين بتنسيبهم كل الاعمال الرذيلة كقطاع الطرق والفلاقة ، والمخرجين الى غير ذلك من الاشياء وماهم الا شرذمة من المتعصبين الخارجين عن القانون ، لايبثون الا الفوضى وزرع الخوف والشقاق فى قلوب المعمرين والجزائريين على السواء .

وتارة يطلقون دعاية أخرى بأن هؤلاء الفلاقة ليسوا من ابناء هذا الوطن ماهم الاأناس قدموا من بلد آخر فى محاولة الاحتلال ، وغير ذلك من تلك الدعايات المسمومة التى يعرفها كل جزائرى ، قصد ابعاد الشعب عن تلاحمها مع الثورة حتى لايتكاثر عددهم يوما بعد يوم خوفا من عواقبها المنتظرة .

لكن المجاهدون الذين انبثقوا من هذا الشعب كانوا على عام بكل مايجرى من الامور ، وما يحيكه الاستعمار من خيوط فى الظلام قصد التزييف وتضليل حقائق الثورة ، وكيف يخفى ذلك على أحد وخصوصا المجاهدون الذى حنكتهم التجارب وحفظو عن ظهر قلب الدروس القاسية التى عانا منها شعبنا طوال احتلاله لبلادنا .

فكان لابد من دراسة خطة محكمة للرد الايجابى الذى يفند كل مزاعيم المستعمرين واحباط مناوراتهم المسمومة التى يبثونها فى أوساط شعبنا ، فكان لابد من دراسة خطة محكمة للرد بقوة على تضليلاته وأكاذيبه الملفقة .

وكان لابد من اتخاذ اجراءات حاسمة لعملية كبيرة ، تبطل فيها تلك

الدعايات المغرضة ، وازالة الشكوك التى تراود البعض الذى لم تصلهم الثورة بعد ، لان السر والكتمان اللذان كانا يحيطان بالمجاهدين أينما حلوا جعل البعض يشك فى قدرتها لان الايام الاولى كان كلواحد يعمل مع المجاهدين أو يتصل بهم يخفى ذلك عن كل واحد حتى أقرب الناس اليه وكانت الثورة لم تعم كل الافراد الشعبية خوفا من اكتشاف مخابىء المجاهدين وكان الاتصال يجرى مع الافراد ولذلك بقى الشك يراود البعض رغم مايشاهدون منعمليات فدائية أو عسكرية لكن المستعمر يعرف كيف يخفى خسائره حتى لا تكون تلك الخسارة شهادة عليه .

والسر فى نجاح ثورتنا فى أيامها الاولى هو هذا السر الذى يسير فى كنفه كل المجاهدين بحيث لايستطيع أن يكشف أى أثرهم سواء فى مشيهم أو مرقدهم . وقد قال الرسول (ص) استعينوا على اعمالكم بالسر والكتمان . وكم من عملية جريئة قام بها المجاهدون فى دحر العدو بعقر داره نتيجة السر والكتمان فى كل الاعمال .

وكانت هذه العملية بمثابة عملية جراحية تقطع الطريق على العملاء وتزيل الشكوك وتفضح مخططات الاستعمار وتوضح بقوة حقيقة الثورة وابعادها مهما كانت التضحيات لتضع حدا فاصلا بين عهدين .

فتم الاقدام على تحقيق هذه العملية يوم 20 أوت 55 قامت بها فئة من الشبان الثوريين وعلى رأسهم الشهيد زيروت يوسف قائد العملية وقد درسوا لهذه العملية كل الجوانب الايجابية منها والسلبية ، وأقدموا فى عزم وامان على تنفيذ خطتهم الفريدة من نوعها منذ انطلاقة الثورة . فنظموا فرقا للهجوم على المراكز الاستعمارية عبر الشرق الجزائرى ، وكانت الفرق مشكلة من الجنود بأسلحتهم المتواضعة ، ومن العمال والفلاحين بالمدارى والسكاكين والفؤوس فنزلوا الى المدنقاصدين تجمعات العدو شاهرين أسلحتهم فى وجوههم

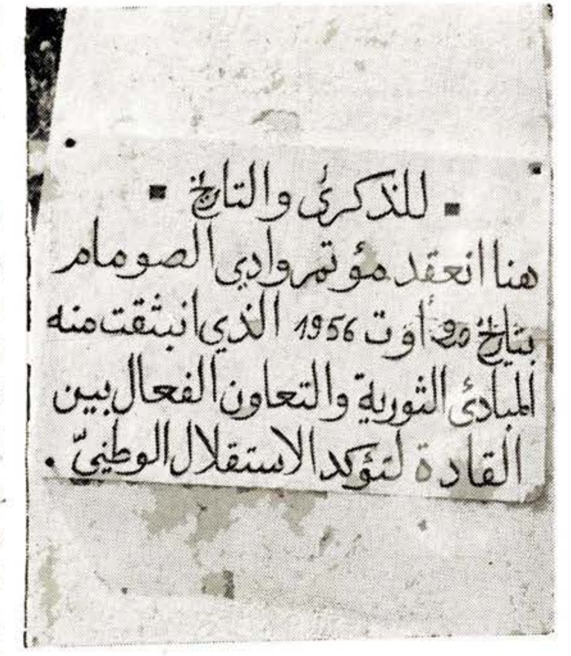


ليبرهنوا للعالم ويفنـــدون مزاعم
المستعمرين وتظليلهم للحقائـق .
فاقتنعت جميع فئات الشعب كمـا
اقتنع الرأى العام العالمى بعد تلك
الهجومات بأن مايجرى فى الجزائر
انما هو ثورة شعبية ضد الاحتلال
الفرنســـى .

فأتخذت الدول المحبة للحريـــة
موقفا عادلا تجاه الثورة الجزائرية
تساندهـا فى نظالها العـادل ضد
الاستعمار وتطالب باحلال السلام
واعطاء الحقوق المشروعة لشعب
الجزائرى فى تقرير مصيره بنفسه .

وتلقت الثورة الجزائرية بعد هذه
العملية نجاحا كبيرا على الصعيد
الداخلى والخارجى .

فأما على الصعيد الخارجى فقد
تلقت تأييدا كبيرا علـى المستـوى
السياسى والدعم العسكرى مـن
عديد من الدول الشقيقة والصديقة.
ــ وأما على الصعيـد الداخلى فقد
اندفعت الجماهير الشعبية لتلاحم مع
الثورة بكل ماتملكه من الوسائل المالية
والبشرية وبدأ الشبان يتسابقـون
الى صفوف الثورة للجهاد فى سبيل
نيل الحرية أو نيل الاستشهاد فى
سبيل الجزائر ، يتسابقون الـى
المعارك ليبرهنوا للعالم بشجاعتهم
وحبهم لوطنهــم . وقد بلغت اصداء
الثورة الجزائرية كل المعمـــورة
فراحوا كل احرار العالم يتابعون
تطـــوراتها باهتمــام بالـــغ .
وادخلــــت الرعـــب فى
قلوب المستعمرين افقدتهم رشدهم
حتى اصبحو يخافون حتى من الذين
يتعاملون معهم . وأصبح كل شبر
وكل حجرة فى نظرهم يوجد فيـه
مجاهد حتى أصبح التنقل عسـير
عليهم الا بأعداد ضخمة من الجنود
والعتاد الحربى الكبير والدبابـات
والطـائرات خوفا من انقضـاض

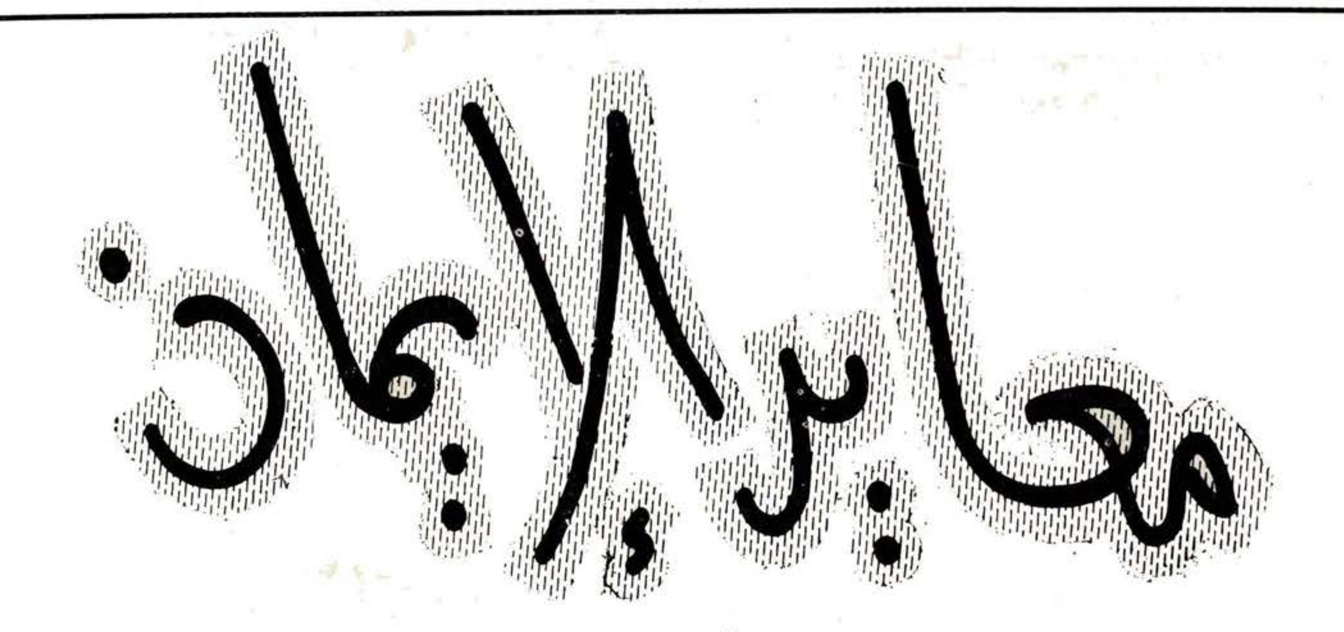


المجاهدين عليهم ، وهذا مايفسر
التغيرات التى تطرؤ على القيادات
الفرنسية منذ أول نوفمبر 54 الى
سنـة 62 .

وبعد هذه العملية العسكريـة
جاءت العملية الثانية مدعمة للاولى
فى ظرف سنتين من بداية الثـورة
وهو مؤتمر واد الصمام الذى انعقد
فى 20 أوت 56 وان كانت العملية
الاولى هى عملية عسكرية فـان
العملية الثانية هى عملية تنظيمية
التـى تتطلبهـا ظروف المعركـة
الطويلة ، فكان اللقاء التاريخـى
الهام الذى جمع بين القيادة المخططين
للثورة بعـد سنـة مـن تفجير تلك
العمليـة الكبيرة الواقعـة فى الشرق
الجزائرى وقد وقع هذا التجمـع
فى منزل بسيط بواد الصمـام ظـم
القيادات العليا لكل مناطق الجزائر
وتم فيه تحديد مراحل سير الثورة
توضيح مبادئها ومنطلقاتها ووضع
الهياكل اللازمة لتسييرها وتـــم
تحديد استراتيجيـة الثورة التـى
يتعيـن انتهاجهـا فى المدى البعيد
والقريب ، وأضـاء طريـق العمل
أمام كل عناصر هـاتـه الاجهزة
القيادية وغيرها لتحقيق انتصارات
الثورة ، وحتى لاتتعرض الى الهزات
التى تعرضت اليها ماسبقتها مـن
الثورات نتيجة ضعف التنظيـم .

وقد انبثقت مـن هذ المـؤتمـر
اللجنة التنفيذيـــة العليـا لجيش
وجبهـة التحريـر الوطنى واعلان
البرنـامج السيـاسى والعسكرى
لجبهة التحرير الوطنى وعرف العالم
كاله بأن جبهة التحرير الوطنى هى
الممثل الوحيد للشعب الجزائرى ،
وقد صدقوا فيما عاهدو الله عليـه
وما بدلوا تبديلا ورحم الله شهداء
الثورة وسيبقى ذكرهم خالدا علـى
مر الاجيال وستبقى ثورة أول نوفمبر
الذى حمل هؤلاء الابطال مشعلهابكل
أمان واخلاص لبلادهم ولامتهم التى
كافحوا من أجلهـا ، ستبقى الثورة
سائرة الى الامام نحو تحقيق معجزات
اخرى فى ميادين البناء والتشييـــد
وسيبقى نور المشعل الذى حملوه
شهداؤنا يضىء معالم الطريق للاجيال
القادمة وستبقى الثورة متواصلة
بنفس الحماس والعمق والحرارة
ويبقى شعبنا سائرا نحو التقـدم
والازدهار ورحم الله شهداء الثورة
وأسكنهم فسيح جنانه .

بقلـم : مولـود بلقـاضى



لا يفتأ الناس منذ بدأ الحياة يفدون الى هذا الوجودثم يمضون ، والحقيقة باقية ثابتة ...

على بساط الراحة ، وترف النعمة ، او على طريق معبأ بالاشواك ، ولا يبقى من ورائهم ما يذكر بهم ، ويشهد بوجودهم يوما على هذه الارض الا ما عملوا ، والانسان من يوم أن يرد هذه الارض يعمل ليبقى ، وهو فى كل لحظة ، على اهبة الرحيل ، ويرتحل عن هذه الدنيا تاركا بصماته عليها ، كما انه سيجنى ثمار عمله غدا ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .

رحم الله الفيلسوف المعرى اذ يقول

تشاد المغانى والقبور دوارس

ولا يمنع المقدار باب وحارس

ومهما يكن ، فالله ليس بزائل

ويجنى الفتى من بعد ما هو غارس

ولكن هل كل من يمر بهذه الحياة، يترك بصماته ، تجدد حياته فى القلوب ، وتثير ذكرياته فى النفوس ، وتعلن مروره بهذه النجم السفلى ؟

كلا ، ان أكثر الناس هم الذين مضوا الا الاخرة ، دون أن يتركوا ما يذكرون به ...

عاشوا فى هذه الدنيا لانفسهم ، ثم مضوا كانهم لم يعيشوا لحظة واحدة ... ماتوا ، وصاروا ترابا فى تراب ، (فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين) .

ان بقاء المرء بتاريخه ، بعد موته ، امنية غالية ، تراود كل نفس ، وحلم لذيذ جميل يغرى كل قلب ، ولكنه بعيد المرتقى ، صعب المنال ، عسير شاق الاعلى الذين آمنوا بوجودهم ، ووجود غيرهم فى هذه الحياة ، وادركوا الرسالة المنوطة بهم فى هذه الارض ، وتحرروا من سيطرة الشهوات ونزعاتها ، وصمدوا للاحداث وان جلت ، وسخروا بالارزاء وان عظمت ، وتحملوا المشاق ، والتضحية والالام من اجل المبدأ والحق ، فى مثابرة وقوة واصرار ...

ان الفردية والانانية والانقياد للشهوات تحصر حياة الانسان فى اجله المحدود الذى يمضيه فوق هذه الارض وما أقصره وبالتالى تجعله كالحيوان الذى يعيش ليأكل لاهم له سوى اشباع نهمه ، ان الحياة فى نظره ليست الا لونا من الوان معيشة الحشرات اكل — وشرب وفساد ثم بغى من القوى على الضعيف ... ثم فناء .

بينما الروح الجماعية التى تجعل صاحبها يعيش لغيره أكثر مما يعيش لنفسه تتسامى به الى مستوى الانسانية وتعمق حياته وتعطيه زادا تقدميا باقيا .

والايمان القوى الصادق خير ضمان لبقاء الانسان بتاريخه ، وهو الفارق أيضا بين شخص يعيش لغيره وشخص يعيش لنفسه والفارق بين من ينفلت من قيود النفس الى ساحة العقيدة وبين من ينفلت من ساحة العقيدة الى مضايق النفس ...

والايمان القوى الصحيح ينشأ عنه حب الله ، وحب الخير والحق والجمال ، وحب الحرية والحياة الطيبة وتنشا عنه ارادة التغيير والبناء والقدرة على الصمود أمام الاحداث وحب التضحية والفناء فى سبيل مبدأ كريم وغاية شريفة ...

بالايمان فقط كان الماضى العتيد ، ويكون الحاضر التليد ، وتكون المنعة والسيادة والحرية والعزة والكرامة.

بالايمان صنع عظماء التاريخ أمما وشعوبا ، وحققوا خوارق ومعجزات بالايمان يضحى المجاهد بنفسه فى ساحة القتال ويسبل على آخر شعاعة من نور الدنيا وهو يبتسم... وبالايمان كان الاقدام وكان الايثار وكان الموت .. اللذيذ فبالايمان انتصر محمد صلى الله عليه وسلم وهو الفقير اليتيم ، وانتصر الاسلام

ومد ظلاله على ارجاء العالم بالرغم من قوى الشر والبغيى التى تالبت ضده وتجمعت لمحاربته .

بالايمان انتصر المظلوم وارتفعت هامته وبالايمان وضع سلطان المستعمر ورفع سلطان المستعمر وقامت الحرية فى مصارع العبودية وتطاول العدل على مقاتل الجور ...

تلك هى صفات الايمان وطبيعته وفعله فيمن يخالط شغاف قلبه ويتغلغل فى اعماق نفسه ، فهل تريد بعد هذا ان تعرف نموذجا للمومن الصادق الذى اثمر فى قلبه الايمان وعمل فى سلوكه عمله ؟

« خرج صهيب بن سنان الرومى هاربا بدينه من مكة يريد اللحاق بالرسول فى المدينة وقد خلف وراءه تجارة رابحة وثروة طائلة انفق فى تحصيلها امدا طويلا ، واعمل فى سبيل توسيعها فؤادا ذكيا ، وذهنا لماحا ، وتجربة واسعة ...

خرج صهيب عن هذا المال الطائل الضخم فرارا بدينه ، فلم يفتنه عن الحقيقة ، ولم يخلب قلبه لمعانه وسرابه ، ولم يكن يرى أمامه وهو يتجه نحو المدينة الا الهدف الاسمى الذى يستحق كل فداء وتضحية .

قطع على صهيب طريق هجرته جماعة من شباب قريش صارخين فى وجهه بقولهم : (أتيتنا صعلوكا حقيرا ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب فى لهجة المومن القوى الذى لا يخاف الا الله — أرأيتم أن جعلت لكم مالى اتخلون سبيلى ؟ قالوا نعم . قال فانى قد جعلت لكم مالى ، ودلهم على مكانه . ولما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ربح صهيب ، ربح صهيب) .

حدث قد يمر به بعض الناس فلا يعيرون له التفاتا ولكنه عند الناظر المتعمق الذى يدرك الاشياء على حقيقتها حدث هام وخطير حدث يحدد لنا معالم نفس كبيرة مرت بالتجربة والاختبار والابتلاء ، نفس قوية أقوى من المال الذى يخلب النفس ، ويشغل البال ويذهل عن الحقيقة ، ويحول بين المرء وربه ، هذه النفس هى التى تصلح للقيادة ، لانها فوق المال الذى يسيطر على النفس ويذلها ويجعلها هباء تعبث بها المطامع ، وتلعب بها الرياح ..

فصهيب استرخص ثروته فى سبيل غاية هى كل ثروة فى هذا الوجود ، فكان بذلك نموذجا فذا للبشرية ، ورمزا حيا للخالدين وفى هذا النموذج الرائع الذى صنعه الاسلام نزل الوحى من السماء بهذه الاية الكريمة (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد) .

من الناس من يبيع نفسه لله لا يرجو من وراء ادائها وتسليمها وبيعها غاية ولا هدفا الا مرضاة الله ، وليس هذا بسهل ويسير ا انه تضحية بكل اعراض الحياة الدنيا ، وتقديم للنفس فداء وثمنا لمرضاة الله وما اصعب ذلك وما امره الا على المؤمن القوى الصابر ...

وقد ذكر القرآن هذا الشراء فى آية أخرى تشرح هذه الاية وتعلن ان المؤمنين باعوا أنفسهم وان الله قد اشتراها اذ يقول :

(ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) .

مر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى وهو يقرأ هذه الاية الكريمة فقال كلام من ؟

قال . كلام الله تعالى . قال الاعرابى .

بيع والله لا اقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد رحمه الله وفى ذلك قيل .

أكرم بها صفقة فالرب عاقدها
على لسان رسول الله من مضر
اثمانها جنة هنا ناهيك من نزل
داربها نعم تقى عن البشر
انواع مطعمها من كل شهوتنا
شرابها عسل صاف من الكدر
من كل مالذة طابت مواردها
وحورها درر تزهو على القمر
انى لها ثمن دنيا بها محن
لم يصف مشربها يوما لمعتبر

الا انها العقيدة الراسخة ، والايمان القوى الصادق ، والفناء فى الغاية والمبدأ ، يدفع بصاحبه الى معاقل المجد ، ويقوده فى رغبة ملحاحة الى التضحية والفداء ، والى الموت من أجل الحياة ...

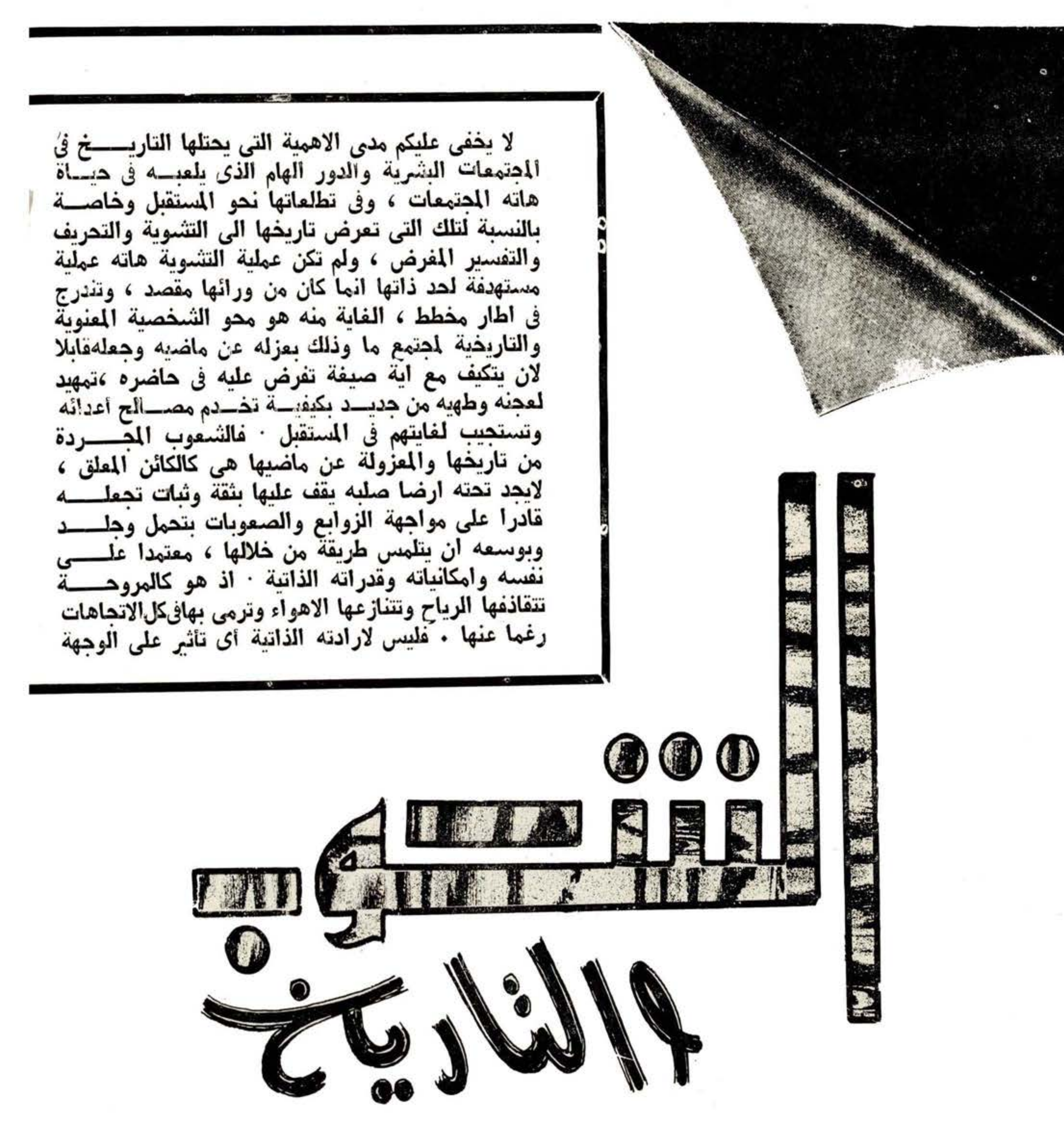
ان للايمان علامات يستدل بها عليه ، وتبعات وتكاليف لابد منها حتى يكون المرء مؤمنا حقا ، فلا يكفى ولا يفيد أيضا أن يعلن المرء أنه مؤمن أو أن يصلى ويصوم ويحج أو أن يلازم المسجد ، ان الله تعالى لا يترك مؤمنا الى كلمة الايمان التى يتحرك بها لسانه بل لابد من اختبار وابتلاء ، لابد من الام ومشاق وتضحيات مصداقا لقوله تعالى :

(احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا أمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) .

ان الايمان الصحيح الذى يصنع الرجال ، ويبنى الامم والشعوب ، ويبوئ صاحبه مقعد صدق فى الاخرة هو الذى لا يخالط قلب انسان الا ويكون أول اعماله التضحية والفداء فى سبيل الحق دون خوف من أحد ، أو رهبة من موت وكيف لا والله يقول (فلا تخافوهم وخافونى ان كنتم مؤمنين) !

وعندى ان اعظم نكبة اصيب بها الاسلام وطاحت بمجده حتى ساء الظن به هى كثرة المسلمين وقلة المؤمنين ، فما من بلد تحل به أو تمر ، فى مختلف انحاء المعمورة الا وتجد فيه مسلمين يصلون ويصومون ويحجون ولكن قلما تجد مؤمنا راسخ العقيدة ، قوى الايمان ، يبيع نفسه ابتغاء مرضاة الله .

والاسلام لا يعتد الا بالمؤمن العملى الذى يسعى دائبا لتمثيل الاسلام وتطبيقه بسلوكه ، فمن لم يكن مستودع حركة حية ومبعث نور مضيئ ، ولبنة قويمة فى المجتمع كان مسلما من غير اسلام ، ومؤمنا من غير ايمان ... **محمد الصالح الصديق**



الشعوب والتاريخ

لا يخفى عليكم مدى الاهمية التى يحتلها التاريـــخ فى المجتمعات البشرية والدور الهام الذى يلعبــه فى حيــاة هاته المجتمعات ، وفى تطلعاتها نحو المستقبل وخاصــة بالنسبة لتلك التى تعرض تاريخها الى التشوية والتحريف والتفسير المغرض ، ولم تكن عملية التشوية هاته عملية مستهدفة لحد ذاتها انما كان من ورائها مقصد ، وتندرج فى اطار مخطط ، الغاية منه هو محو الشخصية المعنوية والتاريخية لمجتمع ما وذلك بعزله عن ماضيه وجعلهقابلا لان يتكيف مع اية صيغة تفرض عليه فى حاضره ،تمهيد لعجنه وطهيه من جديد بكيفيــة تخـدم مصـالح أعدائه وتستجيب لغايتهم فى المستقبل · فالشعوب المجــردة من تاريخها والمعزولة عن ماضيها هى كالكائن المعلق ، لايجد تحته ارضا صلبه يقف عليها بثقة وثبات تجعلــه قادرا على مواجهة الزوابع والصعوبات بتحمل وجلــد وبوسعه ان يتلمس طريقة من خلالها ، معتمدا علــى نفسه وامكانياته وقدراته الذاتية · اذ هو كالمروحــة تتقاذفها الرياح وتتنازعها الاهواء وترمى بهافى كل الاتجاهات رغما عنها · فليس لارادته الذاتية أى تأثير على الوجهة

فمنذ بداية المجتمعات البشرية فى الظهور نجد عندها هذا التعلق بالماضى ولما كانت تغــزو فان هاتــه المرحلة اداة لتدوينه وتسجيله ، نظر لان الكتابة لم تكتشف بعد، فقد حاولت ان تحافظ على الماضى وتسجله عن طريــق الرواية الشفوية ، فكانت اخبار الماضى تتناقلها الاجيال من جيل الى جيل بهاته الطريقة · وربماكانت هاتــه تعتمد فقط على السماع والرواية الشفوية فقد تعرضت الى كثير من التغيير بالتزيين والزيادة غــير المتعمدة لاتمام النقص الموجــود فى معرفتها لهــذا الماضى وترك العنان للخيال والتصور لاشباع حاجتها فى حد الاطلاع والزيــد من المعرفة · ولما كانت قاصرة فى هذه المرحلة منتطورها من استعمال النقد والتأكد من صحة او عدم صحة ماوصل اليها ، فقد ادى ذلك الى ظهور الاساطير والخرفات التى هى عبارة عن كثبان من الحوادث الخياليــة التى تصورها مختلف الاجيال ·

التى يسير فيها ولا اى اختيار للهدف الذى يسعى اليه ·
وقد ادركت المجتمعات البشرية منذ فجر تاريخها الاهمية التى يحتلها الماضى بالنسبة لها فى حياتها الحاضرة وفى مستقبلها ، والدور الذى يلعبه فى تكوين شخصياتها واكتمالها ، الى درجة لا نشعر باننا نبالغ عندما نؤكد بأن النظرة الى الماضى هو غريزة بشرية ، بمعنى أن الانسان هو مدفوع بالطبع وبالفطرة الى معرفة ماكان عليه اجداده فى الماضى وماذا كانت عليها حياتهم ، وكيف كانوا يعيشون ، ومحاولة لايجاد سلسلة من الترابط للاحداث وتسلها انطلاقا منهم (اى من تصوراته لبداية المجتمعات البشرية) الى ان تصل اليه ·وفى امكاننا أن نتأكد من ذلك اذا ما حاولنا الرجوع بذاكرتنا الى مراحل طفولتنا ، كيف كنا نشعر بتلك الرغبة الملحة لمعرفة ماضينا وكيف كانت القصص والحكايات التى ترويها جداتنا تشدنا شدا وتستحوذ علينا ، هذا مجرد مثال أوردناه لنسجل به مدى تعلق الانسان ومدى حاجته لمعرفة هذا الماضى وتبينه ·

ومع ذلك فهاته الاساطير والخرافات تحتوى فى الغالب على جزء من الحقيقة ، والى عهد ليس ببعيد كان تصيب هذه الاساطير والخرافات هو الانفعال والتجاهل من الازدراء من طرف المؤرخ · ولكن بعد أن استهل التاريخ مرحلة جديدة من تطوره وتعددت أدوات عمله وعلى الخصوص منذ المنتصف الثانى من القرن التاسع عشر ، اخذت اهمية هذه الاساطير والخرفات تكبر فى عين المؤرخ وتأخذ حضها من العناية والاهتمام على انها مصدر من مصادر التاريخ ، ليس فقط لمعرفة الماضى ولكنه كذلك لمعرفة أنماط الحياة الاجتماعية السائدة عند المجتمعات البشرية قبل ظهور الكتابة وعلى حياتها العقلية والثقافية والسياسة كذلك ، فهى بذلك مصدر هام من مصادر المعرفة التاريخية لا يمكن تجاهله .

فعلى سبيل المثال كانت الالياذة التى كتبها هوميروس فى حدود القرن التاسع قبل الميلاد ، لانتعرض هنا للمشاكل والقضايا التى يطرحها هذا الشاعر : هل هو فعلا شخصية تاريخية ·

وهل وجد فعلا رجل بالفعل يسمى هوميروس

وهل هو الذى كتب فعلا الملحمة المشهورة الى غيرها من المشاكل التى تتعلق بهذا (الموضوع) والتى هى محل جدال

بين المؤرخين فى اليوم ، انما الذى يهمنا ان نشير اليه ، ان الالياذة التى تنسب لهوميروس والتى هى عمل معروف منذ العصر الهلينى ، اى قبل ظهور الاسكندر المقدونى · اعتبرت من طرف المؤرخين فى العصور الحديثة على أنها مجرد أساطير نسجها خيال الشاعر وان الاحداث التى ترويها عن حرب طروادة هى مجردخرافات لكنه فى النصف الثانى من القرن الماضى التهب خيال احد الالمان وهو شليمان باجدات الالياذة وقوله لديه شعور يكونها احداث حقيقية وقعت فعلا . وعقد العزم على ان يؤكد ذلك بالبرهان والدليل فقام باجراء حفريات فى المكان الذى تحدثت عنه الالياذة على انه موقع مدينة طروادة ، ولدهشة الجميع فان شليمان لم يعثر فقط على مدينة واحدة انما على عدة مدن فنية احداها على موقع الاخرى على مختلف الاجيال والعهود ·

بظهور الكتابة استهلت البشرية عصرا جديدا ومرحلة حاسمة فى تاريخ تطورها · واستعملت هاته الاداة الجديدة اول مااستعملت فى تسجيل اعمال الانسان وتدوين الماضى على جدران المعابد وفى القصور الملكية والمقابر والمناصب التذكارية وغيرها · ممايدل على حرصى انسان العصر القديم على أن يوصل الينا حوصلة معرفته هو عن ماضيه من ناحية وتسجيل اعماله من ناحية اخرى لتصل الينا · بفضل هاته الاثار التى وصلتنا استطاع الانسان المعاصر ان يعرف عن ماضيه شيأ كثيرا وخاصة بالنسبة للمناطق التى بزغت فيهاالحظارات البشرية الاولى كالشرق القديم ووادى النيل وغيرها من مناطق اخرى فى العالم · وليس هذا فقط بل ان الانسان المعاصر حاول أن يدفع معرفته بالماضى الى أقدم من ذلك ، الى ما قبل ظهور الكتابة ، الى الفترة المعروفة اصطلاحيا بما قبل التاريخ ·وتسلح لهاته الغاية بعدة علوم مساعدة وسوف يتسلح بأخرى فى المستقبل ·

واذا كنا قد اشرنا الى اهتمام الانسانبالماضى واوردنا أمثلة لذلك فهذا يعنى أن هذا الاهتمام وصل المستوى الذى يمكن ان تعتبر كبداية لمحاولة تدوين التاريخوكتابته فان يتم ذلك ولن يبدأ التاريخ يتعدد كميدان مستقل وقائم.

بذاته الافى وقت متأخر نسبيا على يد عالم يونانى عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد ، هيرودوت ، التى وصلتنا شذرات عنالتاريخ الذى كتبه عن مصر وكذلك عن بعض المدن اليونانية فعلى يد هذا المؤرخ الذى يلقب بأبى التاريخ بدأ التاريخ يظهر كفرع من فروع المعرفة مستقل عن غيره · وبعد ، هيرودوت ، شاهدت الكتابة التاريخية نشاطا وتطورا · وظهر بعض المؤرخين فى ذلك العصر أى العصر الهيلينى من أحرز اعجاب وتقدير المؤرخين المعاصرين لموضوعيتهم ودقتهم فى سرد الاحداث .

والاستعانة ببعض المعارفالاخرى مثل الاقتصادوالنظم لتفسير الاحداث وادراك مدى تأثيرها عليها · وفى مقدمة هؤلاء يبرز المؤرخ اليونانى ثوكيد يديز الذى خلف لنا عملا تاريخيا عن الحرب البليونيرية ، وهى الحرب التى اندلعت بين المدن اليونانية قسم منها بزعامة اثينا والقسم الاخر

بزعامة اسبرطة ورغم ان توكيديدبز هو اثيني لكنه لم يؤثر انتمائه هذا على عمله التاريخي ·

وفى العصر الهلينستي نشطت حركة التدوين التاريخي واتسعت اهتماما فكتب عن تواريخ بعض الشعوب وعن بعض الاسر الحاكمة وتواريخ بعض المدن اليونانية حيث تمت محاولات تسجيل بعض حلقات الصراع التى نشبت بين روما وخلفاء الاسكندر فىبلاداليونان فىالحوض الشرقى للبحر الابيض المتوسط . كما بدأ بعض مؤرخي هذا العصر يدركون مدى الصلة التى تربط التاريخ بالجغرافيا فبطلميوس الذى يتمتع بمكانة فى الجغرافيا تساوى مكانة هيردوت فى التاريخ . عالج أيضا الاحداث التاريخية ·

وفى العصر الرومانى توسعت حركة التدوين ونشطت كما لمست عدة جوانب فان جوانب التاريخ السياسى ظهر كتاب السير مثل سويتونيوس الذى الف كتابه المعروف باسم سيرة الاباطرة الاثنى عشرة اوبلوتارخوس الذى كتب عن مشاهير الرجال وتاكيتوس الف حولياته المشهورة الى جانب كتابه عن اخلاق وعادات الجرمان وكما الف صالوستوس تاريخ حرب يوغرطا ضد روما كما ظهرت فى هذا العصر محاولات لكتابة المذكرات الشخصية مثل يوليوس قيصر الذى الف كتابه عن حروبه فى بلاد الغال واغطس الذى قام بتسجيل الاعمال التى قام بها خلال حكمه على حجر تذكارى يحمل عنوان الاعمال الجليلة للاغطس وغيرهم .

لقد كان لظهور المسيحية وانتشارها ثم سيطرتها على الحياة الفكرية فى المجتمعات الغربية أن تعرضت حركة تدوين التاريخ والكتابة التاريخية للتقلص والانكماش .

لقد كانت المسيحية تحتقر التراث الوطنى وتعاديه وتنظر اليه شزرا وتعتبر التعلق به والاطلاع عليه هرطقة وخروج على الدين · لذلك تأثرت كتابة التاريخ كماتأثرت كل الحركةالفكرية بهذا الموقف الكنسى وتعرضت الى التقهقر والانحطاط · حيث انه لم يوجد طوال العصور الوسطى كلها من تصدىلكتابة التاريخ بكيفية جدية·ماعدا تلك التواريخ التى تتعلق بالحواريين والقديسين ورجال الكنيسة الاوائل والبابوات ، وهى الموضوعات المفضلة التى كانت الكنيسة تشجعها وتجندها واهمل ماعداها · ماعدا تلك المبادرات القليلة والمحدودة التى قام بها بعض الرهبان عندما عمدو الى كتابة الحوليات سجلو فيها المعلومات المتعلقة بالمقاطعة التى يقيمون بينها ويعرفونها لفترة محدودة من الزمن · اما الكتابة التاريخية بمعنى الكلمة فقد اهملت وفقدت كل اعتبار ·

ولحسن حظ الانسانية ، فانه فى نفس الوقت الذىبدأ فيه الظلم يطبق على ربوع أوروبا وانحصرت الثقافة الوثنية تماما ووضع ما تبقى من اثرها فى بعض الاديرة وأغلق عليها باحكام · ففى هذا الوقت بدا بزوغ فجر الحضارة الاسلامية وبدأ نورها ينتشر شيئا فشيئا ليعم ربوع الانسانية كلها :

لم يكن العرب قبل الاسلام يجهلون اخبار الماضى ولا كانو يهملونها بل على العكس فقد ابدوا حرصاكبيرا وتعلقا شديدا به . كما يدل على ذلك تمسكهم الشديدبحفظ انسابهم وتسجيل انتصاراتهم ومفاخرهم · واذا كان لم يتمهنا كاى تدوين اوكتابة لتاريخ العرب قبل ظهور الاسلام · فان الرواية الشفوية قد ساعدت الى حدكبير على المحافظة على اخبارهم ومعاركهم وعلاقاتهم وخاصة بالنسبة للقرن الاول قبل الهجرة وهاته الاخبار السفرية وجد من يعنى بها ويدونها فى العصر الاسلامى الاول واصبحت تعرف باسم ايام العرب ·

غير ان ظهور الاسلام يعتبر مرحلة هامة ومنعطفا حاسما ليس فقط بالنسبة للعرب وحدهم انما بالنسبة للانسانية كلها ·

لقد اهتم المعلمون منذالبداية بتاريخهم واعتنوابه عناية كبيرة لتسجيله وحفظه لا يصاله الى الاجيال التالية فمذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بدا بعض الصحابة بتدوين بعض صور القرآن وعرف هؤلاء بكتاب الوحى مثل زيد بن ثابت وابى بن كعب وغيرها · وفىعهدالخلفاء الراشدين بدأ التدوين المنظم للقرآن وجمعه عندما اقترح عمر ابن الخطاب على الخليفة ابى بكر ، لما راىنسبة الاستشهاد فى المعارك التى يخوضها المسلمون فى صفوف حفظة القرآن بضرورة تدوينه خوفا من ضياعه ، وتمت هاته العملية فى خلافة عثمان بن عفان ، نفس الاهتمام الذى لاحظناهبالنسبة للقرآن نجده عند المسلمين بالنسبة للحديث ونظرا لما تعرضت اليه الاقوال النبوية منتحريف وتشويه وزيادة وبتر ووضع كذلك ، بمعنى اختلاق كلام ونسبه للنبى (ص) فان علماء الحديث اهتمو اهتماما كبيرابتصفية الاحاديث وغربلتها واستخلاص التصحيح منها ، ونظرا لما يتطلبه هذا العهد من عناء وجهدوتدقيق ومعرفة كذلك فقد استلزم التخصصوالتفرع وتم عن ذلك بروز علماء كبار فى هذا الميدان اصبحوا حجة فى علم الحديث واصحاب القول الفصل فيه .

ولم يكتف المسلمون الاوائل بالاهتمام بأسس عقيدتهم فقط أى بالقرآن والسنة وانما اهتموا كذلك بالتاريخ . بتدوين تاريخ الدعوة الاسلامية أولا ثم تاريخ الامم والشعوب الاخرى . ومنذ عهد خلفاء الراشدين نجد أن بعض الصحابة يمتلكون ثقافة تاريخية واسعة . يكفى ان نلقى منظرة على بعض خطب الامام على لندرك ذلك ، صحيح ان الامام على كان يعتبر من ابرز المثقفين من بين الصحابة . ولكن الذى له دلالته أن المعرفة التاريخية لهذا الصحابى تكون نسبة كبيرة من ثقافته ·ومنذ بداية العصر الاموى بدأ المسلمون فى تدوين الاخبار التى تشكل الاساطير جزءا كبيرا منها ، ويذكر أن أحد المؤرخين المسلمين الاوائل ألف كتاب فى التاريخ لمعاوية بن أبى سفيان هو كتاب الملوك وأخبار الماضين كما يروى أن معاوية كان يستمع كل ليلة الى شىء من اخبار العرب وحروبهم واخبار العجم وملوكهم ·

وقبل نهاية القرن الاول الهجرى يبرز بعض المؤرخين العرب الذين اعتنوا بتدوين سيرة النبى وغزواته ومن أقدمهم عروة بن الزبير وعثمان بن عفان وشرحبيل بن سعد وعمر بن قتاده وغيرهم · وهؤلاء يشكلون الجيل الاول لكتاب السيرة والمغازى · وفى هذه الفترة ايضا ظهرت اول محاولة فى الاسلام لكتابة التاريخ العام على يد وهب بن منبه الذى توفى سنة ١١٠ هـ ، وينسب اليه كتاب « المبتدأ » و « كتاب الملوك المتوجة من حمير وغير ذلك » ...بعد هذا الجيل جاء جيل آخر اعتنى بالدرجة الاولى بجمع المادة التاريخية على نطاق واسع ليس فقط تلك التى تخص الدعوة الاسلامية وغزوات الرسول والفتوحات الاسلامية ، انما كذلك كل مايتعلق بالماضى وبمختلف الشعوب والامم · اشهرهم محمد بن السائب الكلبى وأبى مخنف الازدى والعدائنى . عاشوا كلهم فى القرن الثانى والمنتصف الاول من القرن الثالث الهجرى · وقد مهدوا بعملهم هذا لظهور كتاب فى التاريخ العام الذى سوف يشهد ازدهارا وتطورا فى العصر العباسى الثانى · ويعتبر ابن قتيبة المتوفى فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى (276) من اقدم كتاب التاريخ العام العرب ومؤلفه المسمى كتاب المعارف هوموجز يبدأ ببداية الانسان حتى ظهور الاسلام وانتشاره · كما ان بن قتيبة يعتبر رائد فى ميدان آخر متصل بالتاريخ ومرتبط به وهو تاريخ النظم عندما الف كتابه المعروف « الامامة والسياسة » فى نفس الفترة ظهر مؤرخ آخر فى التاريخ العام وهو اليعقوبى عندما ألف كتابه المسمى بكتاب البلدان .

واكبر المؤلفين المسلمين فى التاريخ العام هو الطبرى والمسعودى وقد توفى كليهما فى النصف الاول من القرن الرابع الهجرى ·

فالاول اشتهر بكتابه الكبير الضخم المسمى بـ « تاريخ الرسل والملوك » ابتداه الطبرى بظهور الانسان لينتهى عند سنة (202 هـ) ·

والثانى اشتهر بكتابه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » فى هذا الكتاب يظهر المسعودى مدى وثوق الصلة بين التاريخ والجغرافيا فالى جانب المعلومات التاريخية التى يضمها كتابه فهو كذلك يحتوى على مادة جغرافية غزيرة . كما اشتهر المسعودى بكتاب آخر المسمى بـ « التنبيه والاشراف » الذى تطرق فيه الى موضوعات كثيرة من بينها آرائه فى فلسفة التاريخ .

ويعتبر هذان المؤرخان أستاذا مدرستين فى التاريخ الاسلامى كل واحدة منهما لها خصائصها ومنهجيتها الخاصة بها ، وقد اخذ عنهم ونقل عليهم معظم المؤرخين الذين جاءوا من بعدهما مثل مسكوية وابن الاثير وابن خلدون وغيرهم .

لايمكن لنا ان ننتقل من هذه النقطة بدون الاشارة الى المكانة التى يحتلها ابن خلدون فى التدوين التاريخى ومنهجيته فى كتابة التاريخ ، ليس فقط عند المؤرخين العرب انما بالنسبة لكل المؤرخين فى العالم اجمع ·واذا كان هيرودوت يلقب بابى التاريخ فان ابن خلدون يعتبر بحق مؤسس العلوم التاريخية الحديثة . وقد اعترف له بهذه المكانة وبهذا الدور علماء الغرب قبل علماء الشرق حيث كانوا اول من اكتشفه وعرف قيمته واستفاد منه · ويعتبر ابن خلون رائد لكنه للاسف ليس بالنسبة لعصره الذى لم يفهمه ولم يدرك قيمته ، انما بالنسبة للاجيال التالية ·

فالتاريخ عند ابن خلدون ليس مجرد حوادث تروى وقصص تحكى ، ولكنه معرفة متخصصة متعددة الجوانب تتعلق بكل ما يصنع الانسان وما يحيط به وتأثيره عليه والمؤثرات التى تدفعه اوتشده فهى بذلك معرفة متعددة الجوانب ومتداخلة لايمكن فهمها الا بالبحث والاستقصاء والتامل ·

واشارتنا الى نظرة ابن خلدون للتاريخ والى منهجه فى كتابته تدفعنا الى طرح هذا السؤال :ماهو مفهوم التاريخ فى الاسلام · ؟

تظهر الاهمية والمكانة التى تحتلها المعرفة التاريخية فى العقيدة الاسلامية من الايات الكثيرة ومن بعض الصور بأكملها التى حفضها القرآن للحديث عن اخبار الماضين وذكرها ومن حث المسلمين على ضرورة معرفتها والاستفادة منها · ومن هاته الاشارات يتبين ان الموقف الاسلامى من التاريخ لاينطلق كماهو عند بعض الديانات الاخرى من موقف التامل حول الحوادث التاريخية لينتهى بذلك الى موقف عام ونظرة شاملة للتاريخ · انما ينطلق من نقطة اخرى هما : كيف يجب للانسان أن ينظر الى التاريخ وهذا الفرق فى النظرة الى التاريخ هو جوهرى وهام وتترتب عليه نتائج بعيدة الاهمية والخطورة ويعنى ذلك ان الانسان هو الذى يحرف هذا التاريخ ويوجهه ويؤثر فيه ويتحمل فى ذلك كل مسؤولياته · والشواهد التى أوردها القرآن والامثلة التى ساقها هى للاعتبار والاتعاظ واستخلاص الدروس من افعال الماضين وسلوكهم ومن هنا فان الزمن فى الاسلام ليس مفهوما غيبيا مجردا

١

مبهما انما هو حقيقة تاريخية مجالها تجارب الانسان عبر مختلف الاجيال المتعاقبة. فالله بخلقه لليل والنهار وتعاقبهما قد وضع الاطار الزمنى لحياة الانسان وحدد مجالها ومكانها ايضا . بهذا التاكد على دور الانسان فى التاريخ يتبين ان الانسان يملك كل حريته وكل ارادته فهو بذلك مخلوق مسؤول ويحاسب على سلوكه على اعتبار أن له ارادة حرة فى القيام بعمله وارتضائه لنفسه ومن هنافقد قال تعالى « ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومنيعمل مثقالذرة شرا يره » والاسلام كذلك لايحاسب الفردعلى اعماله وسلوكه كفرد فقط انما يحاسبه كذلك على سلوكه ويجازيه به وهو فىاطار الجماعة فالى جانب كونهمسؤول عن نفسه فهو كذلك مسؤول عن هذه الجماعة على اعتبار أنه جزء منها . وفى العديد من الايات القرآنية ما يؤكد هذا . فالقرآن توجه الى الافراد واشار اليهم مثل قوله تعالى « اذهب الى فرعون انهطغى فقل هلك الى ان تزكى » وقوله تعالى « فمنعمل خيرا فلنفسه ومناساء فعليها » ثم قوله تعالى فى آية اخرى « انهم قوم طاغون » .

ومن هنا فقد منح الانسان ماهو ضرورى للعيش تحت افضل الظروف فقد اعطاه الله العقل ومنحه ارادة حرة فعليه يقع اذن عبء تطوير نفسه وتحسين ظروفه كما يقع عبء اعداد نفسهلنوع الحياة التى سوف يحياها فىالاخرة فالتاريخ هو الحكم ، اى عمله، وهو الذى سوف يقرر فى اى وجهة يسير بعد وفاته ، الى الجنة ام الىالجحيم.

كما ان مفهوم الاسلام للتاريخ ليس مفهوما جامدا ولا متحجرا وحتى بالسنة لاعمال الله ذاتها . فالله خلق والله يخلق مايشاء . وهذا يعنى ان نظرة الاسلام للتاريخ هى نظرة حركية ديناميكية متطورة قال تعالى « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» الى غيرها من الايات التى تحمل هذا المعنى الكبير الذى له تاثير خطير على الافراد وعلى الجماعات ايضا .

والاسلام هو دينعالمى ونظرته شاملة وتكاملية تخص الانسانية كلها ، لذلك لا نستغرب أن نجد عند المؤرخين العرب والمسلمين ذلك الاهتمام الكبير بالشعوب والاقوام وحرصهم على تصورها وتقاليدها وعاداتها وثقافاتها ايضا كما انانلاحظ انظرتهم الى تقاليد هاته الشعوب والاقوام المختلفة نظرة تتسم بالتقويم والموضوعية ولا نلمسلديهم تلك الروح الاستعلائية المتكبرة التى نلاحظها اليوم عند بعض علماء الغرب .

وخاصة المهتمين منهم بالانتروبولوجيا والاتنولوجيا. وقد عالج علماء العرب قبلهم هاته الميادين بدون تقزز ولا استعلاء وقد كان لمفهوم الاسلام للتاريخ اثر كبير على اعمال المؤرخين العرب والمسلمين سواء فى موقفهم من التراث القديم سواء كان ذلك وثنيا أم يهوديا أم مسيحيا أو فى الاهتمام بالتاريخ حيث كثر عددهم وتعددت اهتماماتهم، ويتضح ذلك من غزارة المادة التاريخية التى تحتويها مؤلفات اجدادنا القدامى وحرصهم الكبير علىتوسيع وتطوير هذا الميدان الذى هو ركن اساسى من اركان المعرفة الانسانية .

ومن هنا فان التاريخ عند العرب والمسلمين هو قوة محركة متطورة ومندفعة دائما الى الامام . وربما يبدو هذا متناقضا لواقع العالم العربى والشعوب الاسلامية فى الماضى القريب وحتى اليوم ، عندما نلاحظ ذلك التأخر الكبير وتلك الهوة السحيقة التى تفصلهم عن الحضارة التيكنولوجية المعاصرةوعدم قدرهمعلىالمشاركة والمساهمة بنصيبهم فيها لفائدتهم ولفائدة الانسانية ، ووقوعهم حضاريا على هامش التحولات والتطورات التى شهدها عالمنا المعاصر فى هذا المنعطف الحاسم فى تاريخ الانسانية .

لقد حاول البعض أن يجد التعليلات والتفسيرات لذلك فى الدين الاسلامى والعقيدة الاسلامية ، واننا لانجانب الصواب حين نؤكد انه لادخل للعقيدة الاسلامية ولا للدين الاسلامى فيما حدث وماشهده العالم العربى والشعوب الاسلامية منالانحطاط والتأخر ،ويجب البحث عناسباب ذلك فى مجالات اخرى غير مجال العقيدة والدين .

لقد تحدثنا طويلا عن التاريخ ولكننا لم نتعرض لحده الان الى تحديده ، وليس الغرض هنا ان نقيم بأنفسنا فى ميدان فلسفة التاريخ والتعرض الى تعريفات مختلف المدارس التاريخية لهذا العالم والخلافات القائمة بينها والاسس النظرية التى تقوم عليها هاته الخلافات والتى تدل على ان المسألة ليست بسيطة ولا هينة . ونظرا لصعوبتها ، فلا يمكن بطبيعة الحال ان يكون هناك تعريف واحد يتفق عليه كل الناس ويرضى الجميع . كما يبدو لى كذلك ، انه من الضرورى ان اشير الى ان هاته الخلافات القائمة على تعريف التاريخ تنطلق من المفاهيم المختلفة لهذا العالم ، فالناس لاينظرون الى التاريخ نظرة واحدة. فكل شعب ينظر اليه انطلاقا من عاداته وثقافته وماضيه ومن معتقداته كذلك . غير أن الشىء الذى يتفق عليه الجميع مهما كان اختلافهم حول مفهوم التاريخ هو ان المعرفة التاريخية ضرورية ومفيدة .

وانطلاقا من مفهوم حضارتنا للتاريخ يمكن ان نبسط الموضوع وان نورد تعريفا مبسطا فى كون هذا العلم هو كمية من المعرفة تتعلق بماضى الانسان وبجميع جوانبه كفيلة بان تنير له حاضره وتعينه على ادراك دوره فيه كما يمكنها أن تساعده على رسم مصالح مستقبله ومن هنا يتضح

ان تساعده على رسم مصالح مستقبله . ومن هنا يتضح ان الثقافة التاريخية ليست ثقافة ترفيهية كمالية انما هى ضرورية وأساسية لكل المجتمعات . وليس من قبيل الصدفة أن نلاحظ أن الشعوب المتقدمة هى التى تعتنى اكثر بتاريخها وتعمد الى تسليط الضوء على جزئياته مهما

بدت ضئيلة، الى درجة أن بعض مراكز الابحاث التاريخية فى البلدان المتقدمة بدأت تستعين بوسائل تقنية فى غاية الحداثة ، مثل الالات الالكترونية ، فى أعمالها . كما لا يمكننا أن نتجاهل ظاهرة أخرى شهدتها كل الشعوب التى وقعت تحت وطأة الاستعمار وهى انه فى الوقت الذى بدأت فيه هاته الشعوب تنظم نفسها لمجابهة مغتصبيها اتجهت اول مااتجهت الى البحث والتنقيب عن تاريخها كوسيلة فعالة لنشر الوعى القومى وتعبأة الناس ضد المحتلين الغاصبين . والجزائر لا تشذ عن هاته القاعدة . ففى نفس الوقت الذى احتفل فيه المستعمرون بصخب وضجيج بعيدهم المئوى لاحتلال بلادنا فى هذا الوقت وكرد فعل على هذا التحدى من ناحية ، واستجابة لحاجة وطنية ملحة من ناحية اخرى ظهرت كتب عن تاريخ الجزائر وعن ماضى بلادنا المجيد . كما انه يجب ان لاننسى ان المستعمرين يتجهون بعد مايتم لهم الامر ويستقرون فى بلد ما ، الى هدم واتلاف الترات الثقافى والحضارى لهذا البلد وليس هذا مجرد عمل عشوائى لكنه يعنى ان عين الاستعمار لاتقر وخاطره لايهدأ مادام هناك اشياء وآثار تذكر هذا الشعب المحتل بماضيه وتربطه به .

يبدولى من الضرورى بعد هذا ان نسأل انفسنا عن حالة معرفتنا لتاريخ بلادنا بالنسبة للقرون القليلة القريبة منا . ان معرفتنا للعصر العثمانى لا تزال معرفة ضئيلة ومشذرة . فنحن لانملك لحد الان كتب عامة عن تاريخ هاته الفترة ولادراسات مخصصة لجانب من جوانبها ولاتزال معلوماتنا عنها تعتمد اساسا على بعض ماكتبه الاجانب عن هذا العصر وهو شىء قليل وضئيل جدا . كما تعتمد على عروض عامة للملامح الرئيسية لهذا العصر . وهذا لايعنى ان معرفتنا سوف تتجمد فى هذاالمستوى، بل



اننا نأمل انه فى المستقبل القريب سوف تنطلق الدراسات والابحاث التاريخية لمعرفة هذه الفترة من تاريخ بلادنا معرفة افضل ·ولحسن حظنا ان المادة التاريخية متوفرة على الاقل فى حدها الادنى وربما سوف تصبح غزيرة فى المستقبل فكثير من المخطوطات المتعلقة بهذا العصر لاتزال غير معروفة والمعروف منها جزء كبير منه لم يتم بعدطبعة وتحقيقه فتجعل من اليسير الاستفادة منه والى جانب المخطوطات فهناك ارشيفات بكاملها موجودة فى الخارج وتتعلق بتاريخ الجزائر · فهناك ارشيف الدايات الذى استولى عليه الفرنسيون ونقلوه الى بلادهم وهو فى طريق الاسترجاع · وهناك الارشيف العثمانى فى القسطنطينية ونحن لانزال الى حد الان فى جهل تام لما يحتويه من وثائق وملفات ولكننا لانشك فى كونها هامة وغزيرة الى جانب ذلك كثير من الوثائق تتعلق بتاريخنا فى هاته الفترة مبعثرة فى ارشيفات المغرب والمشرق العربيين وكذلك فى بعض بلدان أوروبا ، ايطاليا ، واسبانيا — على الخصوص ، وهذا كله يجعلنا ننظر بعين التفائل لما سوف تكون عليها معرفتنا بالنسبة لهاته الفترة فى المستقبل عندما يستفاد وتستغل مختلف المصادر التى تحتوى على المادة الضرورية لكتابة تاريخنا ·

هاته النظرة التفاؤلية يجب ان تؤخذ بشىء من التحفظ عندما تتعرض للحديث عن تاريخنا تحت الاحتلال الفرنسى وهناك عدة اسباب لذلك ·

اولا : ان الاستعمار الفرنسى عندما دخل الجزائر سلك سياسة منظمة ومستمرة قوامها الى جانب تحطيم القوى المادية للشعب الجزائرى ، للقضاء على قواه المعنوية وشخصيته التاريخية ·

بدا فى هاته السياسة منذ اللحظة الاولى التى وطأت فيها أقدامه ارض الجزائر ·واستمرت خلال فترة سيطرته على البلاد ليختمها بالاعمال الوحشية الشنيعة التى اقترفتها منظمة الجيش السرية الارهابية خلال فترة احتضار السيطرة الفرنسية على بلادنا ·

وكلنا نتذكر نماذج من هاته الاعمال الاجرامية والاهداف التى كانت تختارها وتنتقيها لتجعلها ضحية عدوانها الاجرامى هذا المخطط الهمجى الذى اتبعه الاستعمار فى حق شعبنا وبلادنا وهو الذى يفسر لنا كيف انه فى مدينة مثل الجزائر التى كانت وبشهادة ضباط الحملة الفرنسية أنفسهم بانها كانت تضم عشرات من المدارس التعليمية وعلى مختلف المستويات وان نسبة الامية بين السكان كانت ضئيلة جدا . كما انها لاتكاد توجد قرية فى الجزائر كلها ليست بها مدرسة للتعليم · كيف يتفق هذا وانعدام وجود اى كتاب او مذكرة او حوليات كتبت بأيدى جزائرية تروى لنا المأساة من وجهة نظر وطنية وكيف لانملك عن انزال سيدى فرج ومعركة سطوالى واحتلال العاصمة سوى بعض ابيات من الشعر الملحون يعود الفضل فى بقائها ووصولها الينا للمداحين الذين يتناقلونها عبر الاجيال ، ثم لاتجد المهتمين بالثقافة الشعبية والشعر الشعبى ليدونها لتحفظ وتنجو من الضياع ، كيف يمكن ان نتصور انه فى بيئة متعلمة كهاته لم يهتم أحد بتدوين وتسجيل ما رأته عيناه وما سمعته أذناه وتناقلته الافواه عن هذا الصراع الحضارى العنيف الذى لم تشهد الانسانية مثيلا له طوال القرن التاسع عشر بكامله · وكيف اننا لانملك شيئا يعكس لنا وجهة نظر اجدادنا واغلب الظن ان حمدان خوجة لولم يقم بتحرير وثائقه فى فرنسا ذاتها لما وصلت الينا ولا سمعنا شيئا عنها. كل المؤرخين فرنسيين أوغيرهم يعترفون بكون الامير عبد القادر رجلا مثقفا ويحب الكتب وكان ينقل النفيس منها فى حله وترحاله وكلنا نعرف ان خزانة كتبه نهبت مع مانهب عندما استولى الفرنسيون على الزمالة ولا نعرف عنها شيئا منذ ذلك الوقت ·ومن الناحية الاخرى فان السلطات الفرنسية فى احتلالها للجزائر شبرا شبرا أدركت بالممارسة والخبرة أن مراكز التعليم والثقافة فى بلادنا كالمساجد والزوايا وغيرها من منابع المقاومة ومراكز الصمود المعبئة لشعبنا . لذلك نجد المستعمرين استهدفوها وحاولوا محوها بالطريقة المعروفة أى الهدم من الاساس وحرق ما تحتوى عليه من كنوز المعرفة وهذا الاسلوب لم يتغير مع مرور الزمن حيث استعمله الفرنسيون وطبقوه على نطاق واسع خلال حربنا الثورية الاخيرة ·

والى جانب هذا فقد أولى الفرنسيون عناية كبيرة بالجزائر وكتبوا عنها آلاف الكتب وفى مختلف الميادين ماعدا بطبيعة الحال تلك الميادين التى تخص نضال شعبنا وتبرزه ، والغاية من ذلك ليس لخدمة الجزائر انما خدمة استعمارهم للجزائر · ومن الصعب على القارىء لهاته الكتابات أن يجد أو يتلمس أى دور للشعب الجزائرى من خلال ماكتب · واقصد بذلك ان كل ماكتب عن بلادنا هو غرض استعمارى انما أريد أن أشير الى أن الاطار المادى الذى وضع فى داخله المؤرخ ونوع المادة التى توفرت بين يديه تجعل من العسير عليه ان يتجاوز هذا الغرض مهما بلغ حرصه على ذلك.. اذ كيف يستطيع أن يؤرخ لتجربة شعب من خلال شواهد ومعلومات خصومه يضاف الى ذلك ان الكتابة التاريخية عن الجزائر فى عهد الاحتلال أخذت منحى ووجهة واحدة هى الوجهة التى أعطاها مؤرخوا الاستعمار الاوائل ، وعنى بها عناية كبيرة للحفاظ على المادة التاريخية التى تخدم هذا الاتجاه وتدعمه واتلاف ما عداها أو حجبه عن أعين الباحثين . فالمحاولات التى تعمد الى كتابة تاريخ بلادنا فى غير هذا الاتجاه تتناقض معه .

وينبغى علينا أن نلاحظ هنا احقاقا للحق أن هاته من عمل بعض المواطنين وأجانب كذلك ولا تزال فى بدايتها ولم تقف تماما على قدميها لمواجهة التاريخ الاستعمارى الرسمى ·

والسلام عليكم

جمال قنان

ملامح من المأساة الجزائرية

بقلم : صالح خرفي

مأساة وشاعر (1)

مع بزوغ القرن العشرين أطل على الجزائر شاعر ، صادف المأساة في ذروتها ، فانغمس في احداثها وهو دون العشرين ، وتجاوب معها تجاوبا افقده بسمة الحياة ، وسلبه نضارة ربيع العمر فانعكست الصورة على حياته الخاصة حتى اليوم . فتزهد الشاعر وترهب ، واعتصم (بمحرابه) ورمى نفسه بعيدا عن صخب الحياة المادية ، بينما ارتمى بروحه ووجدانه في صميم مأساة شعبه .

كان الشاعر أبن عشرين سنة يوم القى نظرة على حالة شعبه ، فارتد الطرف خاسئا وهو حسير وتلاشت نضارة الشباب في ذبول الحياة البائسة ، وصوح الزهر في مهب الهواجر ، واندثرت الحياة الخاصة بآمالها الفظة ، في الحياة العامة بآلامها المضنية . وحل العزوف عن الحياة محل الاقبال عليها، واليأس منها محل الامل فيها ، واكتسى الشباب الوارف ، سمة الشيخوخة البائسة .

أن الحياة في الجزائر اصبحت سجلا متتابع الصفحات ، متلاحق السطور بالالام والمآسي ، يتصفحه محمد العيد فلا يلبث أن يقول :

سئمت على شرخ الشباب حياتي سئمت ولم أملك على ثباتي
سئمت وأن كنت أبن عشرين حجة حوادث لا تنفك مستعرات
وأقرأ من أى الشقاوة اسطرا على صفحات الكون مرتسمات
فسطر عبابيل امضهم الطوى عراة على لفح الاثير حفاة
وسطر أيامى يصطرخن توجعا من البؤس لايفتأن مكتئبات
وسطر يتامى مرهقين تكبهم على جرف البلوى يد العثرات
وسطر شيوخ كالاهلة شيب وهل شيبهم الا نذير وفاة
وسطر مشائيم غرار أذلة يساموں بالارزاء والنكبات
وفوقهم سطر من الخلق كله جناة لعمر الحق فوق جناة
جناة يرى الرأى من اليل مسحة على سطرهم والظلم كالظلمات(2)

ونعثر على لوحة شعرية أخرى قاتمة الالوان ، داكنة الظلال ، ذات زوايا لايحصيها العد في المجتمع الجزائري في أوائل هذا القرن :

قف معى اليوم في الجزائر واسبر غور احوالها بعين وأذن
تجد الطفل في الازقة يلهو والفتى يشرب الخمر ويزنى

---

(1) ولد محمد العيد في بلدة (العين البيضاء) شرقي الجزائر سنة 1904 . قضى سنتين في جامع الزيتونة بتونس ، ورجع منه وعمره عشرون سنة ، وقضى حياته — أمدها الله — معلما حرا في مدارس (جمعية العلماء) .

ترجمته في : شعراء الجزائر في العصر الحاضر . محمد الهادى السنوسى ج 1 المطبعة التونسية 1936 .

محمد العيد رائد الشعر الجزائر الحديث . ابو القاسم سعد الله . دار المعارف 1961 .

(2) القصيدة في (شعراء الجزائر) .

ملامح من المأساة الجزائرية

تجد الطفلة اليتيمة تشـــــقى
تحت خدر تنوء ، أو تحت خـدن
أو لدى البيض نصروها وقالوا :
أدركتها يد المســــيح بحضـــن
و (النيابات) أسفـرت عن مآس
بل مواس تحدها كالمســــــــن
كاذبات البريق من كل خـــب
يعد الناس باطلا ، ويمنـــى
والمشاريع والشـــــرائع ، والا
داب ، والكتب والنهى فى تعنى
ومن االسن فى المجامع ، والاقـلا
م ، فى الصحف شر طعم وطعن(3)

وتتفرغ ريشة الشاعر لزاوية من زوايا المأساة ، تجلى معالمها وتقرب أبعادها ، زاوية الفقر والبطالـــة المتفشية ، الفقر المفروض علىشعب خيرات بلاده فى يد المحتكر الدخيل ، زاوية الخطى المتعثرة هزالا واعياء، على ارض الكنوز الزاخرة والخيرات الفياضة ، قصة اليد الصنـــاع ، والفرص المؤودة ، الفكر الخـلاق والابواب الموصدة ، مأساة مصرع الجزائرى المجند دفاعا عن العلـم المثلث وفلذات أكباده المخلفة للفقر والضياع .

كم ضارب منهم فى الارض منتشر
ما حاول الرزق الا اعتاص وامتنعا
وعاطل صنع الكفين ، مقتـــدر
مهما أتى معملا عن بابه دفعـا
ومستغيث وجل الناس فى شـغل
عنه ، وطاو وجل الناس قد شبعا
وساهد لم يجـد ضوءا لمنزلـه
الا الفؤاد ذبالا والحشا شمعـا
وعاثر الجد لم يظفر بمنتشـــل
حر ، يقيل عثارا أو يقول : لعـا
وثاكل واصلت ندب البنين ، فما
قاب لها حن ، أو طرف لها دمعـا
وأيم ويتامى حولهـــا اسطرخوا
فى الليل واصطرخت من بينهم هلعا
قالوا : متى الصبح أن الليل ازعجنا
قالت : وماذا يفيد الصبح أن طلعا
قالوا : متى الاكل أن الجوع أحرقنا
قالت : أذا منح المعروف من منعـا
قالوا : وأين ابونا كيف أهملنـا
قالت به وقع الامر الذى وقعـا
الموت طار به كالنسر مختطفـا
والموت طاح به كالسيل مقتلعـا
بنى مات أبوكم ، لم يــدع أثـرا
الا الاماديحبين الناس والسمعا(4)

ويعتصم الشاعـر بمحرابـه ، محتجا على الحالة التى تسود شعبه لا يغادر المحراب الا لمحفل قومى يقوم فيه منشدا ، أو جمعية (خيرية) ينبرى فيها مهيبا ، أو الى مدرسة (حرة) يتصدى فيها لتعليم ناشئة لفظهـا الاستعمار فى أرصفة الشوارع ، تنوء كواهلها الغضة بصناديق مسح الاحذية ، وتحدودب ظهورها مـــن الاقعاء أمام ارجل السادة البيض .

وفى جوف المحراب تلاحق الشاعر المنزوى اشباح المأساة ، فكل شبر فى الجزائر ناطق بها مشير اليها ، وكل فتر فى الارض الجريحة مسرح لها ، وقبل ذلك فالمأساة تنبع من قلب الشاعر ، تصطخب بين ضلوعه ، فأين ؟ أنه جهاز مرهف للالتقـاط والارسال فى آن واحد فليس فىمقدوره الا ان يكون الصورة الصادقة لما يكتنفه من أجواء .

استأجر ــ محمد العيد ــ ظاهر العاصمة الجزائرية ، بيتا له فى سفح (جبل باب جديد) لعله يجد فى سكون الطبيعة ما يبدد صخب الحياة ، وفى بسمتها ما ينسى الواقع المتجهم ، ولكنه فتح شباك غرفته ذات صباح، فقال لنا :

هذه قصيدة وضعتها متأثـــــرا بمشاهدة فقير بائس ، لايزال فىمقتبل العمر ، يأوى فى أكثر الليالى حينما يجن عليه الليل الى ــ جبل باب جديد الذى تشرف عليه نافذة غرفتى ، وفى العراء وتحت اديم المساء يقضـــى الليل كله :

بـدا لعينى تاعس نـاعـــس
على الثرى ، فى الصبح بالى الثياب
جاث على الركبين ، حانى الحشا
والظهر هاو الجسم ذاو الشباب
فهاج من حزنى ومن لوعــــتى
كما يهيج النار عـود الثقـاب
ورحت من شعــر الى عبــرة
والشعر والعبرة جهد المصـــاب
وقمت ادعوه على رأســـــه
لعلنى أحضى ببعض الجـــواب
ياايها الاوى الـــى حفـــرة
فى سفح طود عند ملقى الشعاب
يا أيها الهاوى على وجهـــــه
تحت اديم الجو فـوق التـراب
يا أيهـا الملتـم فى طمــــره
كالقنفذ انهالت عليه الكـــلاب
انومك الان خـــداع لنـــا
أم لك ؟ أم أنك صاب صـــلاب
هل أنت الا بشر مثلنـــــــا
أم أنت جن زال عنك الحجـــاب

ويفقد المنظر مدلوله الضيــق ، ليندرج فى مدلول اوسع ، وتكتســى

---

(3) القصيدة فى مجلة (الشهاب) ج 3 م 9مارس 1933 .

(4) القصيدة فى مجلة (الشهاب) ج 2م 11ماى 1935 .

الحادثة المحدودة تموجات لانهائية فى خضم الحياة الصاخبة ، وتتبخر فى نظر الشاعر اللمسات الحسية المنظر ، ليناجى المأساة فى أوسع نطاقها ، واعمق اعماقها ، ويجعل التاعس الناعس عنوانا صغيرا لها :

طواك عسف الدهر فى حفرة
بجانب الطود كطى السحاب
وملت مثل القوس موتورة
بنبلها ، مشهورة للضراب
منكس العنق الى الارض ، من
همك ، والهم مذل الرقاب
كأنما شخصك رمز لنا
فيما نلاقى من صنوف العذاب
كأنما عينيك فى سهدها
عين لنا راصد كل باب
ابعد ما روعتنى مصبحا
يلذ لى الطعم ويحلو الشراب 5

ويبدو أن المأساة المريعة التى تخبطت فيها الجزائر كانت اقسى من اعصاب الشاعر الحساسة وان الحياة الخانقة كانت اضيق صدرا من أن تتحمل نفسا يتردد فى صدر شاعر فاستحال الانزواء يأسا ، وآلت الاقامة فى المحراب الى برم من الحياة كلها ، وتعلقت النفس بالرحيل ، واصبحت الثلاثين عند محمد العيد ، تساوى الثمانين عند (لبيد):

ان الثلاثين التى ناهزتها
رسل الى من البلى ووفود
فعليك يا عهد الشباب تحية
فيحاء ما تلت العهود عهود 6

ويلح الشاعر فى التساؤل عن الرحيل :

طال مقامك بنا والدار موحشة
متى الرحيل بنا من هذه الدار
يامانع الصفو أن تروى به كبد
حيرتنا بين ايراد واصدار 7

ليل بهيم :

وخيم على (البيضاء) ليل من الاستعمار بهيم واناخ الاستبداد بكلكله على الارض الطيبة وتطاول الدخيل على الشعب الاعزل بسلاحه الفتاك ، وضاقت الدار باهلها ، ونعقت الغربان عليها :

واغرب خطب هالنى خطب موطن
لنا ، منعته الشمس أسراب اغرب
كما حبست عنه الرياح ، وعارضت
له دون سيل القطر من كل مسرب
بأجنحة سود كان خيالها
ظلام بليل قاتم الوجه غيهب
فيالك فردوسا تحولت دمنة
ياوحشتا من أغرب فيك نعب
وياوحشتا من محنة نكبت بها
سلالة (مازيغ) وفتية (يعرب) (8)

وأذا اصبحت الحياة ليلا ، فلابدع أن يغدو الشاعر فى ظلماتها أعمى ، يواصل قرع عصاه لعل رحيما يأخذ بيده :

دنيا على ليل الحياة وطوله
حتى يشق من الصباح عمود
ظلمات أمك ياجنين كثيفة
شتى ، وامك يا جنين ولود
صبرا على ليل الحياة وطوله
حتى يشق من الصباح عمود
من مات لاريب استهل ، فلا تخف
الموت دنيا ، واللحود مهود
يا موت خولت ابن آدم راحة
ما بعد جودك لابن آدم جود
فى القبر نزل طيب ، وكرامة
كبرى ، وظل وارف ممدود
والناس اطهر فى القبور جبلة
ولو أنهم رمم هناك ودود (9)

ولاريب أن الليل كان اشد وطأ من ليل امرىء القيس ، فرمى فى احضان هذه الافكار القاتمة ، ولاشك أن المأساة هى الاخرى تمطت بصنب ، وأردفت اعجازا ، وناءت بكلكل . فقد امتدت الى خنق الانفاس ، وكم الافواه والوقوف بالمرصاد لكل رعشة تسرى فى جسم الشعب ليقوى بها على النهوض فكأن هذا الشعب قدر عليه فى حكم المستعمر أن يكون لحما على وخم .

أرى الانفاس مرهقة بجو
كمثل الغاز يوسعها بخنق
يدوى بالوعيد دوى رعد
ويومض بالردى ايماض برق
ايوثق بالاداهم كل كف
ويوطأ بالمناسم كل عنق
فمهلا يازمان البغى مهلا
فقد أعيا كواهلنا التلقى
رحى المهجات أنت فكم تقاسى
بك المهجات من سحق ومحق
ورفقا منك بالانسان رفقا
فما هو للهوان بمستحق
لماذا توضع الاسداد ضربا
على فمه ألم يخلق لنطق (10)

---

(5) (الشهاب) ج 6م ديسمبر 1930 .
(6) (الشهاب) ج 8 م 9 جيوليت 1932 .
(7) (الشهاب) ج 9 م 11 ديسمبر 1935 .
(8) القصيدة فى (الشهاب) ج 1 م 8 جانفى 1932 . و (مازيغ) بن كنعان بن حام اليه يرجع اصل البربر فى الجزائر . أنظر (كتاب الجزائر) أحمد توفيق المدنى ص 97 ط 2 دار المعارف 1963 . وانظر مجملا لاراء المؤرخين فى أصل البربر فى (تاريخ الجزائر فى القديم والحديث) مبارك بن محمد الهلالى الميلى 0 ج 1 ص 53 ط 2 بيروت 1963 .
(9) القصيدة فى (الشهاب) ج 8 م 9 جويلية 1933 .
(10) القصيدة فى (الشهاب) ج 5 م 11 أوت (اغسطس) 1935 .



واذا اصبحت الحياة الجزائرية جحيما ، يذكى المستعمر زفيرها ، وانسدت سبل العيش أمام سالكيها وبلغت القلوب الحناجر ، فلا مناص من تلمس اللقمة ولو بين فكى الاسد . وكانت فكرة الهجرة الى فرنسا . وكأن العامل الجزائرى وهو يرمى بجسمه المنهوك تحت رحمة الفولاذ فى مصانع فرنسا ، انما يردد : فداونى بالتى كانت هى الداء .

غير أن الهجرة بدورها محرمة على الاهالى ، ممنوعة على العامل الجزائرى . فقد اراده المعمر اجيرا مسخرا له ، يموت جوعا فوق ارضه الزاخرة بالكنوز ، حتى تكتمل الصفقة الرابحة على حساب عرق المواطن ودمه وحياته (11) .

ولكن الجوع استبد بالامعاء ، وتضورت منه افراخ زغب الحواصل لايملك عائلها الا أن يرمى بنفسه فى الجحيم ليفتك لقمة عيش فلذات أكباده فاصبح سفر العامل الجزائرى الى فرنسا (عملية تهريب) يزج به فى بيت الوقود فى الباخرة ، حتى لا تقع عليه عين الرقابة . يحدوه الامل فى أن تكون فرنسا من وراء البحر غيرها فى الجزائر فى أن تكون — الام الحنون — وفية لتبنيها فى رد بعض الجميل اليهم . ومن خلال الامال البراقة المغرية تخف وطأة الحجرة الجهنمية فى الدرك الاسفل من الباخرة . غير أن الحياة القاسية لاتمهل العامل حتى يلامس واقعية هذه الامال ، أو يضع رجله على مرفأ مرسيليا .

فقد سافر اربعون عاملا جزائريا سنة 1926 الى فرنسا فى بيوت الفحم والوقود فى باخرة — سيدى فرج — هاربين الى فرنسا ، فاختنق منهم أحد عشر عاملا تحت وطأة اللهيب ، ووصل الباقون بين الحياة والموت .

ويقدم لك الحادثة المريعة محمد العيد ، بآمالها المتصاعدة المتهاوية ، بظلالها الزاهية القاتمة . بما كان يساور الشعب من حسن ظن فى فرنسا وليدة الحرية والاخاء والمساواة

قسا البلد الجريح وضاق ذرعا
بهم ، فتيمموا البلد الرحيبا
وقالوا . أن فى باريس عيشا
يروق غضاضة ويلذ طيبا
وقالوا . انها تسلى المعنى
وقالوا . انها تأوى الغريبا
وان لها من الحسنى لحظا
وان لنا من الحسنى نصيبا
ألسنا المخلصين لها حضورا
ألسنا المخلصين لها مغيبا
محضناها المحبة واغتدينا
نطارحها التغزل والنسيبا
ولبينا مهيب الحرب ، لما
أهاب بنا فأرضينا المهيبا

ولكن موجة الامل تصطدم بصخرة الواقع المحطم لكل أمل ، الواقع الاسود الذى يطارد الجزائرى حتى فى عرض البحر الابيض :

فسدت فى وجوههم النواحى
مسالكها ولم ترحم حبيبا
وقامت ضجة فى الغرب كبرى
تصب عليهم النقد المريبا
فكم من قائل اخشى وحوشا
تدب بأرض باريس دبيبا
وكم من قائل اخشى زنوجا
تبيح القتل ، والذام المعيبا
فقل للقائمين على فرنسا

(11) أصدر قانون منع الهجرة الى فرنسام شوطان وزير الداخلية الفرنسية آنذاك . وتاريخ صدوره 8 أوت 1924 .

أنبيو وارتأوا رأيا لبيبـــــا
وقل للقائمين على فرنســـــا
تعالوا فاشهدوا الخطب العجيبـا
جســـوم فى (فـــروش) مجـدلات
تعانى تحته الغاز الرهيبـــا(12)
واجسام ممزقـــة الحشايــــا
تكاد لها النواصى أنتشيبــــا
حديد (فروش) يفريها شـــظايا
وعزف (فروش) يبكيهـــا نحيبا
وصب عليهم المقدور سوطـــا
من الارياح يستذرى (عسيبـا)
فحسبك ايها الخـــطب المفاجـى
لقد اشهدتنا اليوم العصيبـــا
فأبكيت الهلال به وطـــــه
وابكيت ابن مريم والصليبـــا
فسر فى ذمة التاريخ خطبـــا
رهيبا فى مسامعنا مهيبـــا

ويلفت الشاعر الى (الام الحنون) الى القطة آكلة أبنائها ، يلتفت اليها فى حساب مرير، وعتاب أمر ، وذلك جهد المقل ، واضعف الايمان :

فيا (ظئر) الجزائر ، يافرنســـا
أيجدر بالجزائر أن تخيبـــا ؟
تناويك العواصم وهى تصبـــو
اليك ، فهل شهدت لها ضريبـا ؟
ويا ولد الجزائر .من دماهـــا
وكن تبرا بساحتها اريبـــا
ولاتخشى الـــوقاع بها ، فانـــى
رأيت الله مطلعا رقيبـــا (13)

وطوى الجزائرى الامعاء علـى الطوى ،واكتفى من العيش بالصبابة، وولى وجهه وجهة اخرى ، ربما وجد فيها بعض العزاء، ذهب يتلمس طريقا يبلغ بها صوته الى الحاكم المستبـد يرفع بها حشرجته علها تصـــادف التفاتة من قساة القلوب . وان مـــن الحجارة لما يتفجر منه الانهار .

فطلعت ــ النيابات الاهلية المالية افقا لامل جديد ، وتخيل المواطـــن (النائب المالى) مسمعا لصوت تصامم عنه المستعمر ، وتوسم فيه مندوبـا عن وفد اوصدت فى وجهه الابـواب فأيده بالنفس والنفيس ، وعـــززه بأصوات دامية . فلم تكن الانتخابات فى الجزائر ــ بدسائس الدخيـل ــ الامسرحا لسفك المزيد من الـــدم الجزائرى ، وكانت ميدانا للصراع بين المستعمر المزيف ، والمواطن الـــذى يدلى بصوته تحت دوى الرصاص ، وبين النظرات الشزراء من جلادى الانتخابات ، أملا فى أن يرفع علـى



الاكتاف مخلصا أمينا فى ابلاغ صـــوت الشعب دون تحريف أو تمويه ، صلبا فى أن ينضم هو الاخر الى مســـرح العرائس التى يرقصها المستعمر .

ولكن الانتخابات الفرنسية المبيتـــة للجزائر ، كانت ابعد نظر ، فقد اريد لها أن تكون مضرب المثل فى التزييف وان تذهب مثلا شرودا فى المجتمعات الدولية . وكانت المعارك الانتخابية الدامية التى يخوض غمارهـــا ، لا تساوى عند المستعمر أكثر من صندوق من الاوراق المبيتة يحل محل الصندوق الحقيقى .

فاذا ــ بالنيابات ــ هى الاخرى وبال على الشعب ، واذا بـ (النواب) من صنائع المستعمر يتقدمون باســـم الشعب ، ليكملوا روعة المأســـاة ، ويمثلوا الادوار التى يمليها عليهـــم ساداتهم :

أفدنى برأى فى النيابات هل حوت
أساود فى قاعاتها ، أم وســـائدا
فياانائبا ناب البلاد بحـــــادث
فخلف شعبا قائما فيه قاعـــــدا
على أى ظهر كنت سوطك منـــزلا
وفى أى نحر كنت سيفك غامـــدا
وما لك ترغى فى النيـــابة موعـــدا
ألم تك من قبل النيابة واعــــــدا
ويا مجلس النواب ، انك قاطع يدا
ــ كنت منها (لوتبينت) ساعدا14

مواعيـــد عـــرقوب :

أما وعود فرنسا التى تسخو بها أحيانا ، فلم يكن يقصد بها الا تهدئة

---

(12) (فرش) لفة فى (فرج) ، بالفرنسية
(13) القصة والقصيدة فى (شعراء الجزائر)
(14) القصيدة فى كتاب (محمد العيد) . أبو القاسم سعد الله . ص .. 21 . دار المعارف . 1961 . قيلت القصيدة فى سنـــة 1933 .

الموقف ، والحد من غلواء الهيجان الشعبى ، وقد يقصد بها استرضاء الشعب واستدراجه لمساعدة الدولة فى أزمة ماسكة بخناقها . كالوعود التى تطلق عادة عند تجنيد الجزائريين للحروب التى تخوض فرنسا غمارها لقد كانت هذه الوعود بمختلف صيغها ومناسباتها برقا خلابا لايحمل للارض الجدباء الا التعلل بالامانى الكاذبة ، وان من أعمق الاسباب فى فقد الثقة فى فرنسا ، وعودها التى لم تكن ذات مدلول فى يوم من الايام

قال محمد العيد :

ماالحقوق الينا غير واصلة
وقد سمعنا بها من منذ أزمان
هل عاقها البحر عنا ، فهى عاجزة
عن قطع ما فيه من لج وشطآن
أم راقها البحر حسنا ، فهى سابحة
تلهو بما فيه من در ومرجان
أم الحقت ببنات البحر ، فاحتجبت
عن كل قاص من الرائين ، أودان
ياباحثا ممعنا فى كشف حالتنا
الى متى أنت فى بحث وامعان ؟
الى متى أنت منا خائف حذر
كاننا فى البرايا (جنس غيلان) (15)

وبقدر ما كانت هذه الوعود مجالا للتذكير المتوالى من المواطن المتعطش الى بصيص من واقعيتها ، كانت من جانب فرنسا ميدانا للمراوغة والمماطلة ، ومثارا للمكامن المكبوتة.

يا (وفد) ذكر فرنسا
عهدا تقادم عهدا
قل . مسنا الضر قبلا
وخاننا الصبر بعدا
متى تفين بوعد
ياأعذب الناس وعدا
لابد أن تمنحينا
مالا نرى منه بدا
فكم وسعناك برا
وسعته اليوم جحدا
وكم ظلمنا ، فقانا
لعل للظلم حدا
فخففى الحجر عنها
أنا نضاهيك رشدا
أنا نقاضيك دينا
قد آن أن يستردا
حقا لنا منك يقضى
لانعمة منك تسدى (16)

ويمتد نفس المطل ، وتحتد معه صيغة الاستفهام ، حتى انك تتخيل وراء كل نقطة استفهام بركانا ينذر بالانفجار :

متى توفى الوعود ؟ فقد مللنا
تساؤلنا . متى توفى الوعود
أصابتنا الجوائح والرزايا
وأعوزت المرافق والرفود
حنت أعناقنا الاغلال ظلما
وحزت فى سواعدنا القيود
واعلنا المظالم والشكايا
فأخفتها الدسائس والكيود
وانغضت الرؤوس لنا هزوءا
وانكارا ، وصعرت الخدود
ألم نوسعك فى العظمى جهودا
ألم تحم الحمى تلك الجهود ؟
فما هذا التجاهل والتناسى
وما هذا التنكر والجحود ؟
فسوسى المسلمين بكل عدل
وخلى ضيمهم فهم الاسود
لهم فى مقبل الايام شأن
به يتمخض الزمن الولود (17)

وينزع الشاعر عنه ثوب الوقار ، ويخلع عنه رداء الانفعال ، ليواجه فرنسا فى حساب عسير ويتطور من الاستفهام الى مكاشفة الحساب ، ومن التساؤل الى الاقرار ، ومن الرجاء الى مايشبه الامر الصارخ :

ليس حقا ، أن تحرمى الشعب حقا
لقى النار دونه والحديدا
ليس حقا أن تستريحى ويشقى
ليس حقا أن تسكنى ويميدا
ليس حقا أن تستجدى ، ويبلى
ليس حقا أن تخلدى ، ويبيدا
يافرنسا . ردى الحقوق علينا
واقلى الاذى ، وكفى الوعيدا
نحن رغم الطغاة فى الارض ، احرا
ر ، وان خالنا الطغاة عبيدا (18)

خلق جديد :

أصبح لزاما على الشعب أن يعيد النظر فى نفسه وان يقطع الامل فى أى اصلاح لحاله يأتيه من فرنسا ، وراح يتلمس بين جنبيه نفسا عصامية ، تبعثه من جديد فى دنيا المتناقضات وتخلقه خلقا جديدا فى حياة دخيلة كادت تعمى كل المقومات الاساسية للشعب ، وتطمس معالمها .

فاتجهت العناية الى بعث الذاتية الصميمة ، واذكاء النخوة والاعتزاز بها ، وان اصبحت فى مهب العواصف

---

(15) القصيدة فى محمد العيد ص 222 .
(16) القصيدة فى المرجع السابق . ص 213 قيلت بمناسبة سفر الوفد المنبثق عن (المؤتمر الاسلامى) الى فرنسا سنة 1936 .
(17) القصيدة فى (الشهاب) . ج 6 م 11 أوت 1937.
(18) القصيدة فى الشهاب . ج 4 م 11 جويلت 1936 .

أن التاريخ القومى الذى أقام المستعمر بينه وبين ابنائه سورا من حديد ، من تزييف للحقائق ، وتشويه للمفاخر، وغزو لها بتاريخ فرنسا وابطالها ، هذا التاريخ يجب أن ينشر من جديد بيد مخلصة وفكر نزيه ، أن الناشئة فى الجزائر تعرف كل شىء عن تاريخ فرنسا ، وتجهل كل شىء عن تاريخها حتى وهنت الرابطة بين النشىء واسلافه ، الى درجة أن أساء بهم الظنون :

ياحماة البلاد ، يافتية الضـــــا
د ، ترى هل لكم من الرأى مغنى
سار أجواركم مع العصر شـوطا
وبقيتم ما بين وهم ووهــــن
أين منكم مهابة وانتصـــــاف
أم سكنتم الى احتقـــار وغبـن
لاتقولوا : هان الجدود ، فهنـا
ساء نشىء لهم به سـوء ظـن
فى (تلمسان) فى (بجاية) فى (تيـ
هرت) فى (القلعة)ازدهى كلفن(19)
دعموا البر ، دعموا البحر ، بالا
علام ، من منشآت مـدن وسفن
ثم نيطوا من الظروف بمخـز
واحيطوا من الصـروف بمحـن
فاذا العيش حالك مثل ليـــل
واذا الربع موحش ، مثل سـجن
واذا الارض قفرة ، واذا الجـو
معمى ، تظله سـحب حـزن
وتقضى ملك الجدود ، فلم يبـد
ـق ، بأيدى البنين غير التمنـى
يالمجد مضيـع ، غـير مجـد
عض كف عليه ، او طرق سـن

والفخر بالامجاد فى دنيا الاستعمار دعوى تحتاج الى برهان واى برهان تفتقر الى التذكير المتوالى ، فقد علق بالافكار وضر ثقيل ، والتوت الظنون فى عزة الشعب واصالته ، فاحتاج الصباح الى دليل :

وانا لشعب ، يعلم الله انــــه
كريم ،حصيف الرأى ،مرتفع الكعب
سليل جدود نابهين ، أعـــزة
مغاوير شوس، كالضراغمة الغلب
ولكن عثا الحدثان فى الشعب طاغيا
عليه ،كماتطغى السيول على العشب
فأصبح مغبوثا من العيش مرغما
على الهون مرهونا كيوسف فى الجب
وغاب عن الابصار،لولامخايل تلوح
كومض البرق من خلال السحب (20)

ولا يزال محمد العيد يعزف على الوتر الحســـاس ، ويجس النبض بيد صناع ، ويلامس القلب بخبرة الطبيب المهار ، وينتصب فى تحـد وكبرياء بتاريخ وطنه المجيد :

عدمنا الرشد فى الدنيا ، كأنـــا
فلول معارك ، وغــواة طـرق
ولو أنا على الحق اتفقنـــا
لكنا سادة الـدنيا بحــق
اتسبقنا الشعوب الى المعــالى
ألسنا قبلهم أحرى بســبق ؟
ألسنا بينهم خير البرايـــا
سماحــة ملة ، وزكاء عـــرق ؟

وتحت تأثير هذه الوخزات ،سرت فى الشعب رعشة الحياة ، ونشط من عقال الغيبوبة وراح يستجلى معالم طريقه فى كل ميدان ، ويناجـــى آماله بكل لسان ، وانتفض انتفاضة (الاصلاح) لكل مزيف بفعل الدخيل يلاحق الافكار المضللة (بالنوادى الثقافية) ويحضن الجيل المشــــرد (بالمدرسة الحرة) ويفتح مــــن (الصحافة) ميدانا للصراع العقائدى بين مقومات الشعب الاصيلة وسموم الثقافة الدخيلة ، وانتصب عملاقـا بمقوماته فى مهب العواصف ، أبيا بأمجاده فى دنيا السخرية والاهانة ، وطاول زمنا باللسان والقلم ،وصاول بالصحيفة والمنبر ، فلم تلبـــث (عصاميته) القديرة فى ميدان القول أن فتحت له طريق العمل :

شرع الكلام الى مـــدى
ياقوم · فالعمـل العمـل
الشعب منحـل العـــرى
خزيان ، مختلف العلـل
صاد ، وليس به صــدى
ثمـل ، وليس به ثمـل
ضربت على يده القـــوى
وفشت بجانبه الحيـــل
لبـلائه ذعـــر الــورى
وبصبره ضـرب المثـل
من للجزائر ، يفــديهـا
اليــوم من سفــه السفل
يا مشهرين مـــن العزائم
مثل مرهفـة الا ســل
خوضوا بها الامواج ، واء
وا الشهب واقتلعوا القلل

---

(19) ـ تلمسان ـ من أعظم المدن الجزائريةذات الطابع العربى ، وقد بلغت أوج حضارتهافى عصر بنى زيان · وفيها يقول الشاعر ابن خميس : ـتلمسان ـ لو أن الزمان بها يسخو منى النفس ، لا دار السلام ولا الكرخ ـ بجاية ـ عاصمةدولة بنى حماد ، وقلعة العلم أيام ازدهارها . أنظر ـ كتاب الجزائر ـ ، أحمد توفيق المدنى . ص 184 .
ـ تيهرت عاصمة الدولة الرستمية . المرجع السابق . ص 192 .
ـ القلعة ـ قلعة بنى حماد · المرجع السابق · ص 218
(20) القصيدة فى ـ الشهاب ـ ج 6 م 7 جوان 1931 .

ملامح من المأساة الجزائرية

من قال · جل عدوكـــم
قولوا له · المولى أجل (21)

معجزة تتحقق

وكانت التنظيمات السياسية تغزو فى السر ، ما يدعو اليه الاصلاح فى شبه العلنومهدت الدعوات الاصلاحية الارض لبذر بذور الانتفاض ، وفتحت الافكار لقبول — بدعة — الحرية والاستقلال ، وبرزت لفظة الحرية الى الوجود ، ولكن بوجه مقنع ، فالحياة المكبلة لا تحتملها سافرة ، فاكتست الحرية اسم — ليلى — ورفرفت — ورقاء — تارة ، واخرى غردت هزارا ومن خلال الاسمـــاء المستعارة ، وبلسان العاطفة ، ناجى المواطن عشيقته ، وبثها اشواقه ، ولاحقها فى كل زاوية ، عله يحظى بوصل ، ولكن عين الرقيب لاتزال ساهرة ، فآب التائه الجبران برجع الصدى :

أين (ليلاى) اينهـــــا
حيل بينـــى وبينهـــــا
هل قضت ديـــن من قضى
فى المحبين دينهـــــا
أصلت القلب نــــــارها
واذاقتـــه حينهـــــا
روعتنـــــى ببينهـــــا
لارعى الله بينهـــــا
فتعـــــلقت بالطيـــــوف
اللواتـــى حكينهـــــا
وتعلقـــــت بالمـــــنى
فـــتبينـــت مينهـــــا
ما (لليلاى) لم تصـــل
مهجـــات فدينهـــــا
وقلوبـــا علقنهـــــا
وعيـــونـــا بكينهـــــا
ايــه ياعينـــى اذرفـــى
لن ترى بعـــد عينهـــا
السمـــاوات والاراضـــى ،
جميعـــا نفنيهـــا
كـــم تساءلت ســــالكا
أنهجـــاما حوينهـــــا
لم يجبنى ســـوى الصدى :
أين ليلاى اينهــــا؟ (32)

ويئس الشاعر من العثورعلـــى (ليلاه) ، ورضى من الغنيمة بالايات وراح يطلب (تورية) اخـــرى فى مناجاتها ومناغتها ، ويقرب النعوت والاوصاف ، حتى التقى بها (ورقاء) مجنحة ، ولكنه لقــــاء بعيد فالرقباء أشد ما يكون تيقظا وحراسة :

ولقد شجت قلبى وهاجرت عبرتـــى
(ورقاء) فى شرف بعيد عــــال
حمراء ، حرر جيدها من طوقها
فى الورق ، فهى عديمة الامثـــال
هتفت ، فقمت مجاوبا لهتافهــــا
ولحنت عن قصد ، فقلت تعـــالى
شرقية فى الطير ، أو غربيـــــة
مادمت واصلة ، فلســـت أبالى
والهفتاه عليـــك ، حسنك فائق ،
وهواك ممنوع ، ووصلك غـــالى
من كان فى العشاق باسمك ناطقا
فكأنما هو ناطق بمحــــــال
قد احنق الرقباء والعذال بـــى
ويلى من الرقبـــاء والعـــذال
عن اللقاء ، ولست منك بيائـــس
فلعل بعد البين قرب وصـــال(23)

ويوم كان محمد العيد يبث هذه الاشواق (لورقائه) ويستجير مـــن الرقباء والعذال كانت الايام تقترب من 1954 ، وكان المعجزة المبية فى الظلام تزحف الى قمم — الاطلس — لتحقق الوصل ، وتجعل الالقاء لقاء خالدا ، وترمى بالرقباء والعذال فى عرض البحر من حيث اتوا وتدفع ضريبة لذلك مليون ونصف شهيد · ومن طلب الحسناء لم يغله المهر ·

فما لبث — محمد العيد — أن عانق — ليلاه — و — ورقـــاءه — و — هزاره — فى علم حر جزائرى خفاق

ويا علمى تحيا على رأس أمتـــى
شعار كفاح تسحب الذيل بالفخر
وتاج لجين شـــده بزمـــــــرد
هلال شموخ ، زانه كوكب درى
ويا علمى تحيا بأجواء أمتـــــى
وآفاقهـــــا بدرا يتيه على البدر
تسير على أضوائه مستدلــــــة
على الهدف المنشود بالانجم الزهر
ويا علمى انى ارى بك عالمـــى
بدا بعد ما أخفته عنى يد الشر
فأنت حياتى أنت روحى وراحتى
وراحىوريحانى ويسرىمنعسرى
وانت صدى عزمى وانت ندا يدى
وانت هدى قلبى وانت مدى عمرى
أحييك من قلبى بما أنت أهلــــه
تحية عذرى الهوى صادق العـــذر
يذوب اشتياقا للعناق وطيبــــه
ولكنه مستعصم بعـــرى الصبـــر
رآك رفيعا فاحتفى بك واكتفـــى
برفع يدحتى اشفى منلضىالجمر
الجزائر 18 — 1 — 1965

---

(21) القصيدة فى الشهاب ج 11 م 9سبتمبر 1938 .
(22) القصيدة فى الشهاب . ج 7 و 14
(23) القصيدة فى كتاب محمد العيد . ص212 اكتوبر 1933



تهمة

في أبريل 1960 ، والحرب التحريرية في أوجها، وعمليات العدو تمشط البلاد عرضها وطولها ، وطنين الدعاية الاستعمارية يملا الاذن والسمع بالقضاء على الثورة ، وحصول التهدئة ، وان ... ربع الساعة الاخير قد حل ... ولكن كيف .. ومتى ؟ لقد مضت ، الساعة ثلاثة أرباعها ... ولم يبق الا الربع الاخير .. ولكن من عمر الاستعمار ... والقمع ... والعبودية ..

هكذا كنا نردد ونحن في سمرنا حول مكتب قيادة الولاية في قلب جبال الاوراس ، حيث نتجاذب الاحاديث حول مجريات الوقائع، أو نفك رموز رسالة واردة علينا من هيأة الاركان العامة او نرمز تقريرا نبعث به الى القيادة أو نهيا

من مذكرات مجاهد



منشورا نوزعه على الشعب ، ردا على دعاية العدو ، وتثبيتا للمواطنين، وتحريكا للهمم ...

وذات يوم وصلتنا برقية مستعجلة من هيأة الاركان تتضمن تقريرا مفصلا عن عملية عميروش ، التى قامت بها وحداتنا فى القاعدة الشرقية، ردا على عمليات العدو الكبيرة ((الاحجار الكريمة ، والتوأم)) وغيرها ذات الاسماء الغريبة ، وكانت خسائر الاعداء فى هذه العملية كبيرة :

12 دبابة أو مدرعة .
10 استحكامات مدمرة .
عدد من القتلى والجرحى .
تدمير عدة مئات من خط موريس .
اغتنام عدد مهم من الاسلحة .

وكان يرن علينا جو من البهجة والهدوء ، ونحن نستمع الى التقدير ، حقا لقد شاركنا فى العديد من المعارك ومستنا أوصاب الحرب ، وحنكتنا تجاربها ، ومعاناتها .. ولكن الشعور بالنصر .. لذة لا تضاهيها أية واحدة أخرى ! . وخاصة اذا كان معك من يشاركك فيها ..

والمجاهد فى جيش التحرير هو ابن الشعب ، حامى الشعب ، فهو لهذا يؤكد شعوره هذا بتضحياته ، وآماله وآلامه أيضا ..

وبعد الانتهاء من قراءة التقرير ، تهامسنا :

ترى هل نستطيع رؤية القاعدة الشرقية ، ونشارك رفاقنا فى الانتصار !

قالها الاخ ابراهيم ، فى رنة مشوبة بالامل ، وتنهد ثم أضاف :

ـ لقد عرفت هذه الجبال ، ومامن واد به،او شعبة او قمة الا وخضت بها معركة مع العدو ، أو نصبت كمينا .. وأتمنى اليوم... وارتفع صوت الاخوة طاغيا ، حتى عادت كلمات ابراهيم لا تصلنى .. ذلك ان الاخبار وصلت . وهذا قدوم الاتصال من مختلف المناطق ... وقت الراحة انتهى .. لنستأنف العمل ، رزمة الرسائل والتقارير ، توضع على المكتب .. انها مادة دسمة ، واخبار طارئة .. وفتحت الاغلاف انه تقرير من المنطقة :

10 عمليات فدائية فى مدينة ب
3 كمائن فى الطريق الرابط بين ب و ن .
1 انفجار لغم تحت السكة فى ق .
7 عمليات فدائية فى مدينة س .
3 هجومات ناجحة على مراكز العدو فى السهول .
1 مقتل ضابط — ساص .
2 كمينان فى مشارف المدينة .

وانهمرت عينى بفيض من الدموع، فرحا وحزنا ... واندفعت فى تصفح التقارير الاخرى ، وكلها تتحدث عن المعارك والانتصار ، بطولات شعبى وجيشى ...

وكان آخرها تقرير سريا ، خطيرا ، موجها الى هيأة الاركان .. من الولاية « ج » وعقد المجلس للتشاور، وبعد دراسة جوانب الموضوع ، اتفق الرأى على ارساله كما هو الى هيأة الاركان ، وبدئى فى الاعداد لاختيار أفراد الدورية ، واعداد ما يلزمها ، وكانت عملية صعبة . اذ ما يزال صدى كلمات ابراهيم يرن فى أذنى ، وتمتمت :

هل أكون معهم ؟! وأزور الابطال فى القاعدة الشرقية ، انهم هناك ... ولم أكد أتم حتى بادرنى الاخ ابراهيم: لقد قلت لك قبل اتمنى ان أكون هناك فى القاعدة الشرقية ، وقد كانت الفرصة . وسأكون أول من يسجل نفسه فى القائمة .. وعقبت على كلامه قائلا : ان شاء الله ..

ولم يكد يبزغ فجر تلك الليلة ، حتى تم الاختيار والاعداد ، وتحدد السفر فى نفس اليوم ، وكنت أنا من بين أفراد تلك الدورية . .وبتنا تحدونا الآمل فى الاتصال برفاق النضال ، والتطلع الى كسب الخبرات من أولئك السابقين الى المجد ، المحرزين على أكاليل الغار ...

وكانت ساعة الوداع صعبة ، ما أشقها على أرواح تآلفت فى كنف الثورة ، ثورة الشعب على مغتصبى أرضه ، وحريته ، ما أشقها على اخوة جمع بينهم السلاح والنضال فى سبيل أقدس هدف الا وهو الحرية والتحرير ..

وانطلقت دوريتنا تنساب بين اشجار الغابة ، ولو استطاعت لطارت يدفعها الواجب ، ويحضها على اداء المهمة ، وبين الفينة والاخرى نسمع همسا من رفيق يشكو ألما ، أو يتحسر على أنه قد فاته الاستشهاد وخلال فترات الراحة كان الاخ ابراهيم ، (كان أكبرنا سنا ونضالا) ، يقص علينا حكايات يختارها عن رفقاء المعركة مثل : مصطفى بن بولعيد ، أو بلقاسم قرين ، أو عباس الغرور ، ويختم القصة دائما بهذه اللازمة اذا استشهد هؤلاء فى سبيل القضية ، فقد تركوا الشعب راشدا ، وأنتم الابطال .. فكانت هذه القصص ترفع المعنويات .. آه بل التعب ، وتلهب



الحماس فى الصدور .

وذات يوم ونحن مقيمون بجبل الجرف ، نتملى بمنظره الحزين : اشجار محترقة ، شظايا القنابل والرصاص متناثرة .. بقايا هيكل سيارة ، بيوت مخربة ، قال الاخ ابراهيم :

هذا مكان معركة الجرف ... هنا — وأشار بيده الى ناحية من الجبال — كان المجاهدون ومن هنا جاء العدو .. ونصب آلياته وبطاريارته ودباباته .. وبدأت المعركة التى دامت طويلا .. وهزم فيها العدو .. وهذه — واشار الى هيكل متهرئى لسيارة — شاهد



المعركة ... أما هناك — وكنا نرى نتوءا من الارض — فتوجد قبور الشهداء الذين استشهدوا فيها ،... ثم أنشد :

سلاما سلاما جبال البلاد
فانت القلاع لنا والعماد
ففيك عقدنا لواء الجهاد
ومنك زحفنا على الغاصبين

وكنا مشدودين الى النشيد ، كاننا لم نتغن به قبل اليوم ، ولكن جلال الموقف ، واستشعار حال المعركة ، وارواح من سبقونا الى الاستشهاد ، ومنظر الجبل الكئيب ..
كل هذا الحشد الهائل من الاحاسيس

من مذكرات مجاهد



انسانا التفكير ، وملانا رهبة وخشوعا . . لقد كنا نسمع من غرائب الفنانين فى حال انذهالهم أمام روعة مشهد ساحر أخاذ ، انهم يصيبهم الخرس ، فلايستطيعون نطقا ، ولكننا اليوم صرنا مثلهم . .

آه . . ان الاخ ابراهيم حين يتحدث ، تشاركه فى الحديث النبرات ، اشارات يديه ، اسارير وجهه ، فتجعل حديثه — عن أمجاد جيش التحرير — موسيقى متصلة ببعضها ، تخاطب عقل وقلب سامعيه ، وكنا نطلب اليه شرحا أو ايضاحا حول معالم الطريق ، وعن سكان الناحية .

وأغذذنا السير حتى أشرفنا على « الجبل الابيض » ، وبدأنا الاخ بالحديث عنه ، وعما جرت به من وقائع كان بطلها الازهر ، وتناقلت انباءها الوكالات ، وكتب عنها الاعداء ، مشيدين بقدرة مجاهدى جيش التحرير .

— هنا — وأشار الاخ ابراهيم — كان مقر الازهر ، وعلى تلك القمة نكون الحراسة ، وفى الجهة الشمالية مكمن الرصد ، وعلى الضفة الغربية ينصب رشاش 30 . وهناك الخنادق ، واضاف : لا تنسوا أن الجبل الابيض سهل المرتقى ، ليست به نتوءات كبيرة ، أو عوائق لتقدم الآليات ، غير الشق ، يقصد به مجرى الماء وكان عميقا ، يهبط اليه أو يرتقى منه فى ظرف نصف ساعة تقريبا . . .

وبعد أن يأخذ نفسا عميقا يضيف : لقد جرت هنا معركة دامت سبعة أيام . حشد لها العدو اعدادا هائلة من الرجال والمعدات ، وشارك فيها الطيران ، وتكبد فيها خسائر كبيرة . . خلدها الشعب فى أهازيجه وأغانيه ، وها نحن الآن واقفون على قبورهم ، مقتفون على آثارهم ، ودائما فى سبيل القضية : كل هذا و نحن لم نتوقف عن المسير ، ثم ران علينا الصمت ، بعد أن لسعتنا نسيمات باردة مشبعة بمطر خفيف ، أعقبه الضباب الذى جعلنا فى متاهة حقيقية ، أو فى حلم زاه جميل ، اختلطت مباهج النفس براحة الضمير ، مع ماتوحيه سكينة الليل ،



وروعة المكان من اطمئنان وهدوء ، يترك النفس جياشة بالامل ، طافحة بالبشر ، على أن المهمة لم تكتمل ، وهذا ما يجعلنا قلقين بعض الشيء.. ان القلق والتوتر يجعلان المرء أكثر ابداعا ، وأشرق تفكيرا ، قد يكون هذا غلوا منى ، وقد يكون العكس ، فالحقيقة هى هذه .. وقد عايشتها وعانيتها .. وهكذا كنا .. قد يصفنا البعض باننا مجانين ، وقد يتسامح البعض فيصفنا نصف مجانين .. وهذا لا يغير من الامر شيء .. فنحن قلقون من أننا قد لا نستطيع اداء المهمة الموكولة الينا لسبب أو لآخر ، فما دامت المهمة تسير ، فالقلق مستمر ، والحذر موجود ، ولكن الايمان بالقضية لا يتزعزع ، وننتفض من البلل والبرد ، وتنام العيون .. وتبقى القلوب ساهرة ، تحسب وتقدر ، وتبعث دفعات من العزم ، ودفقات من الدم ، لتبث العزيمة والحرارة فى الجسد ، ويبزغ الفجر ، وننادى بالصلاة ، فنؤديها فى خشوع واجلال ، معاهدين الله على المضى قدما ، لا نكوص ولا فرار ، حتى النصر أو لقياه ...

ونتمهل فى المرابض ، حتى طلوع الشمس ، واستكشاف « الجو » ، وبعدها نستأنف المسير ، بحذر ويقظة ، المنطقة محرمة ، عبارة عن سهب واسع ، ليست به أشجار ، او جبال ، الاشجيرات متناثرة من الطرفة أو نبات الحلفاء ، القراى محروقة مخربة ، والحقول معطلة ، فلا أثر فيها لبشر ، الا اذا كان مثلنا أو مثلهم ، المسافات بين الواحد والآخر متباعدة ، واحد يسير والباقون متبعون أثره ... ولاح لنا عن بعد جبل أم الكماكم ، شامخا فى السماء ، يظلله ضباب خفيف ، فتمثلته مواطنا يعتمر عمامة بيضاء ، ذاقامة فارعة، يتحدى الزمان .. ومع استمرار السير ، بهتت الصورة ، بل وامحت ، وفى منحدر « المشارع » العميق ، ربما كان ــ شلالا فى الزمان القديم وعن جفاف النهر ، لم يبق منه الا المنحدر،والصخور المتاكلة ، المشربة بالحمرة ، والرمال فى الاعماق ،

من مذكرات مجاهد



وبرغم ذلك فقد بدا جليلا عظيما ، ذا منظر يخلب الالباب،خاصة عندما تنظر اليه من الجنوب ، حيث يشكل مع جبل أم الكماكم ، والوديان الجافة شكل مثلث قائم الزاوية ، **ينفرج عن** سهل تمتزج رمال الصحراء مع التل ، حيث توجد اشجار الصنوبر والعرعار فى جبل الكماكم . وهنا أقف مسحورا بهذا المنظر من بلادى الجميلة .. وعند نبع ماء استرحنا قليلا ... ثم استأنفنا السير قاصدين ((**الادارة**))، والرحلة اليها قصيرة ، قطعناها فى صمت وهدوء ، لا يقطعه الا وقع أقدامنا ، أو حفيف الريح ، أو أزير طائرة بعيدة ، والادارة ، عبارة عن مغارة كبيرة ، قد أدخلت عليها بعض التحسينات ، لتحمى من يلجها من البرد ، وقد صارت زيارة الدوريات لها عادة ، بل فألاحسنا ، ذلك أنها كانت مقر قيادة جيش التحرير فى سنوات الثورة الاولى ، بل فيها كانت تهيأ تخطيطات المعارك الكبرى التى جرت فى الناحية ، وسجلت على صخورها اسماء العديد من الذين مروا بها ، وقد حفرنا أسماءنا عليها للتاريخ والذكرى .. وبمجرد استراحتنا ، انطلق الاخ ابراهيم كعادة يروى لنا قصص ماوقع فى هذه الناحية من « واجهات » ، مشيدا ببطولة شيهانى والغرور وشريط وغيرهم من ابطال جيش التحرير ، مضيفا : بأنهم أدوا المهمة، وقدموا أرواحهم فى سبيل القضية ، واقترح علينا أن ننشد نشيدا اخوانى لا تنسوا شهداءكم .. الذى أديناه بخشوع ، وبعد تنظيم الحراسة اخذنا قسطا من النوم ومع منتصف الليل استأنفنا المسير ، حتى اذا وصلنا الى القمة ، تراءت الآمال قريبة ، حيث لم يعد يفصلنا عن هدفنا الا مرحلة واحدة ... وطفقنا نعلل الانفس بالوصول ، واللقاء بالرفاق ، وتأدية المهمة ... ولكن الانوار المتلألئة — لا بل الكاشفة التى تكتسح السهل والحزن ، أرجعتنا الى الواقع لئن كنا قد نجحنا فى اجتياز المناطق المحرمة ، فان هذه الاضواء تثير القزازة فى النفس ، عجيب أمرنا .. صرنا نكره النور .. بل نمقت الاستعمار .. الذى قلب المفاهيم ، واستغل كل شىء من أجل السيطرة .. فاذا كانت الكهرباء نعمة على بعض الناس ، فهى نقمة علينا .. انها تقف حاجزة بيننا وبين مبتغانا ، انها تقتلنا ... أليس من حقنا اذن أن نكره الكهرباء ...

ولقد أقام العدو حاجزا مكهربا ليفصل بين قواعد جيش التحرير الوطنى وسحر له احدث ما اخترع العلم من آلات تحذير ،وقياس مسافات ، ورادار ، وسيارات وطائرات ... ولكن هيهات ...

وراقبنا من القمة سير الدوريات وهى ذاهبة آيبة ، تنفصل الواحدة عن الاخرى مدة عشر دقائق ، فى حركة دائبة موقوتة ، حتى آذنت الشمس بالطلوع ، فعندها تباطأت فى السير

وكان لايفصلنا عن الحاجز المكهرب (خط موريس) الا بضع كيلومترات وخط موريس يمتد مابين البحر والصحراء ، شرقه وغربه منطقة محرمة ، قد اجلى سكانها ، وسيقوا الى مراكز التجمع ، او التجأوا الى اماكن اخرى ، وقد بنيت عليه مخافر على مسافات متقاربة ، وانشأت على جانبيه طرق واستحكامات ، فضلا عن حقول

من مذكرات مجاهد

الالغام ، فضلا عن القوة الكهربائية الكبيرة التى تسرى فى اسلاكه (بين 5000 — 10000 فولت) ، بعرض يتراوح بين عشرة امتارالى 100 م حسب نوعية الارض وطبيعتها .. بالاضافة الى كل هذا. هناك الانوار الكاشفة ، ومسمعات تردد نداءات : قف .. ارفع يدك .. بدات الشمس تنحدر للغروب ، السكون يلف المكان .. ثغاء قطيع من الاغنام يبتعد .. والراعى وراءه فى الطريق الى محتشد قريب قريب ، ازيز طائرة يقترب ..وتردد صداه جنبات الوادى فى صخب .. انهما طائرتان من طراز ت 8 — المطاردة .. تقومان بالدورية قبل الغروب ·· حومتا طويلا فوق مرابضنا .. وصعدت تراقب القمم والوديان القريبة ، ثم خفت الازيز وساد السكون .. بدأنا نتحرك نستعد لقطع المرحلة الاخيرة .. انسدل الظلام شيئا فشيئا ..وقفت الدورية فى الطابور .. كان المتكلم هو الاخ ابراهيم :

اليوم لم يعد يفصلنا عن لقاء اخواننا الاسير بعض ساعات ... وتوقف قليلا ثم اردف : لقد قمتم الى اليوم بالواجب ، باتباعكم النظام والطاعة وهما كما تعرفون اساس النجاح فى مسيرتنا لتحرير ارضنا وشعبنا .. وهانحن نتقدم ... ولم يبق الا عبور هذا الخط .. وهو كماتعلمون صعب على الجبان فقط .. فيجب ان نتعاون على اجتيازه جميعا .. وكما حطمنا قوات العدو سنتغلب على هذاالخط ونتذكر العهد الذى عاهدنابه اخواننا الشهداء ونقول : من مات شهيدا ، ومن عاش سعيدا ، فى بلاده الحرة .. ولن يصيبنا الا ماكتبه اللهعلينا ..وصمت فتشابكت ايدينا فى حرارة ونحن ننشد :

نحن جند فى سبيل الحق قمنا
والى استقلالنا بالحرب قمنا
لم تكن تصغى فرنسا اذنطقنا
فاتخذنا رنة البارود وزنا
وعزفنا نغمة الرشاش لحنا
وحلفنا ان نمت تحيا الجزائر ..
فاشهدوا !

وبعد الانتهاء من الانشاد اعطيت لنا كلمة السر ، وكانت مكونة من كلمتين : الجزائر — تحيا، فرددها كل واحد بضع مرات ، حتى ترسخ فى وعيه ، ثم طلب الينا : منيريد ان يكونفى الطليعة ، بجانب المختصين فى قطع الاسلاك المكهربة ، وابطال الالغام ، فارتفعت ايدى الكل ، تريد ان تكون فى الطليعة ولم تنته عملية الاختيار،الا بتدخل الاخ الاكبر، الذى حسم الامر بقراره الحكيم فاختار اربعةاشداء يصحبهم الاخوان المختصان ، وقد حمل كلا منهما آلته ، وكانت التعليمات تنص على ان نتبع اثرهم خطوة بخطوة ، ولا نبتعد عنها باى حال ، حذر حقول الالغام المنتشرة هنا وهناك ..

وبدانا السير مع بعيد المغرب ، متبعين طريقا تسير عليه قطعان الاغنام ، وقد انعشتنا نسيمات عليلة ، تحمل شذى ازهار الربيع فامتزجت بأنفاسنا ، فزاد نشاطنا مع اضاءة قمر فى اسبوعه الاول ، وان بدا شاحب النور ، وكانه خجل من مباغتتناله فى هذه الليلة ... اصوات الصراصير مرتفعة نقيق ضفادع الغدير يتجاوب معها..نباح كلاب .. عواء ذئاب يرتفع .. وقطعنا المسافة فى خفة النمر ، وكالخيال السارى .. وعلى بعد بضع مئات من الامتار توقفنا قليلا عن السير ، مفسحين المجالللاخوين كى يراقبا المكان ، ويختارا انسب موقع منه لفتح طريق نعبر منها .. وبعد دقائق قضياها فى المراقبة والتفحص ، بدآ عملهما ، واومض برق اعقبه ثان وثالث .. كان تلك هى الاشارة الى ان الخط قد تعطل ران الكهرباء اللعينة قد جمدت فى الاسلاك .. وان الطريق مفتوح للعبور ... فاجتزناه بسرعة ... بينما طليعتنا تراقب الوضع عن كثب ... وعلى مبعدة منه جرى التفقد لقد انجزنا العمل بنجاح ،ولم نفقد اى شىء ... لقد وضعت الخطة باحكام ، ونفذت بدقة ... بقى شىء هناك ... ينتظر هو العدو ·· الذى اذهلته المفاجأة فلم يتحرك الا بعد مضى وقت كاف .. ربما للسبب السابق ، وربما لان عدده فى المحتشد قليل ، فابتعدنا عن الخط فى هدوء اعصاب ، وقلة اكتراث .. واستبشار بنجاحنا فى المهمة .. بيد اننا نتعرض الان لقصف مدفعى رهيب من مختلف الانواع والاحجام دام مايقرب من الساعتين ، ثم زحفت قواتمحمولة لتضرب حولنا طوقا كاملا .. فىحين كان سرب من الطائرات يحلق على الميدان وترمى بالقنابل المضيئة : على الميدان .. حتى تتمكن القوات من ملاحقتنا ، ومن حسن الحظ انناطبقنا طريقة العمل فى حرب العصابات ، فافترقنا مجموعات صغيرة : ثلاثة ثلاثة .. فى حين ان طبيعة الارض ذات الاخاديد ، شبكة ، قد منحتنا اجمل هدية للافلات من هذاالشرك.

وهكذا انسللنا الى ملاقاة اخوان لنا فى القاعدة الشرقية حاملين اليهم أشواق واعجاب شعبهم واخوانهم . وأدينا المهمة الثقيلة ...

20 ابريل 1974
ميم : صاد



أيام وذكريات

مبادرة حميدة قام بها احد المناضلين بالمشرية وتتمثل فى ارسال صورة أحد الشهداء الابطال الى مجلة « أول نوفمبر » لنشرها مع نبذة عن تاريخ هذا البطل الذى يسمى كمال محمد رمضان .

وقد وصلتنا الصورة مع المقال ، بعنوان (وجوه تستحق الذكر) وقد سجل فى هذا المقال ذكريات غالية تعود الى ما قبل الثورة .. ثم تحدث عن بعض المجاهدين ..

والعبرة التى يمكن اخذها من هذا المقال هو انه لواهتم المجاهدون الاحياء بجمع تراث ثورتهم ... من ذكريات وصور واقوال الشهداء لاستطعنا الى حد بعيد كتابة ملحمة الثورة المسلحة وتدوين تاريخ النضال الجزائرى الطويل .

وبهذه المناسبة نتوجه بنداء حار الى كل الذين مازالت فى قلوبهم غيرة على النضال والمناضلين والتاريخ البطولى والتضحيات الجسام أن يكتبوا ويدونوا ويراسلوا المجلة المناضلة « أول نوفمبر » هذه المجلة التى آلت على نفسها يوم صدورها (انظر العدد الثانى) أن تهتم باحياء تراث الثورة المسلحة وكل ما يتعلق بها من كتابات ووثائق ومذكرات .

فشكرا للاخ كمال عبد الحاكم الذى قدم لنا مثلا يحتذى به . ونرجو من الجميع فى شرق البلاد وغربها ان يقتدوا به .

هيئة التحرير

المشرية فى 6 — أفريل 1973
الى السيد : المشرف على تحرير مجلة فاتح نوفمبر — المحترمة —
تحية طيبة ، وسلام حار ، واحترام يفوق كل احترام ،
أخى المحرر بعد التحية والتقدير، يشرفنى أن ابدء كلمتى بشعورى نحو نشاطاتكم ومجهوداتكم الجبارة،
فقد سعدت بمجلتكم عن جهودكم وجهود اللجنة المكلفة بنشر آثار الحرب التحريرية التى تؤدون بها أجل خدمة فى ميدان نشر تراثنا حتى يتعرف الجميع على تاريخنا المجيد ، وفىالتعريف بفضل الشهداء فيها ، وفضل العروبة والاسلام .
وأنى لاشعر بكثير من الاغتباط اذ أساهم معكم فى نشر قصة من القصص الثورية التى سمعت عنها أو رواها لىبعض قدماء المجاهدين، وما كانت كلمتى هذه التى افتتحت بها المقال الاعبارة عن شعورى نحو مجهوداتكم الجبارة ، أو بعبارة أخرى هى تهنئة بانتصاركم فى هذا الميدان .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .
وفيما يلى أشرع فى كتابة القصة والتى تحكى لنا رواية الشهيد (كمال محمد رمضان) الاسم الثورى : (الطاهر أو يوسف) .
كلنا يعرف والتاريخ والعالم شاهدان بذلك ، أن الشعب الجزائرى كان يسمع ويتحسس للثورة المباركة سنة 1953 ، حتى راح الخبر بين أحيائنا وأوساطنا الشعبية ، أن الثورة قامت ببلادنا يقودها جزائريين ابطال كانت أول أمر قد قامت بالشرق الجزائرى ، وذلك لايستحق للتعريف فهو مفهوم حتى عند الصبى الجزائرى ، فبمجرد ما نقول فاتح نوفمبر







أيام وذكريات





1954 ، نعرف أنها هى الثورة المباركة التى قامت بشرق الجزائر،

كان منا رجالا يجمعون المال ويقولون لنا : أن الثورة قامت ولاشك ستقلع جذور الغاصبين ، شارك بعضنا مع اخوانهم المجاهدين بالمال ونشر الدعاية ، وجعلنا خليات وأفواج وفروعا وجعلنا رؤساء للاعراش ، وكنا يقظين ننتظر الامر ونتطلع على سير الثورة ، الكثير منا كان يبحث على طريقة الاتصال بالثوار الى أن قامت بالرقم الاول سنة 1955 ، ببلاد ندرومة ، وزحفت بالرقم الثانى الى الخميس كان كل يوم يمر بأنتصار وأنتشار فى التراب الوطنى، وزحفت بالرقم الثالث الى دائرة سبدو ولاية تلمسان .

كانت الثورة المباركة أين مازحفت تجد آذان صاغية ورجال راضية بالموت من أجل الوطن ، وهذه ظاهرة فى الشعب الجزائرى يشهد له بها التاريخ والعالم ، وفى كلمتى هذه خصصت بالذكر دائرة سبدو ولاية تلمسان ففى هذه الدائرة وكسائر بلدان الجزائر ، وجدت الثورة رجالا ملبون لندائها ، طائعين الاوامر مضحين بالنفس والنفيس، من هؤلاء الرجال كان أول من اتصل بالحركة الثورية ثلاثة مات اثنان منهم ولازال واحد على قيد الحياة، وهم :

ـ كمال محمد رمضان (الطاهر أو يوسف)

ـ بوسدرة مصطفى (معذرة لم أتمكن باسمه الثورى)

ـ الواد صالح (اسمه الثورى صالح وهو معروف بالدائرة)

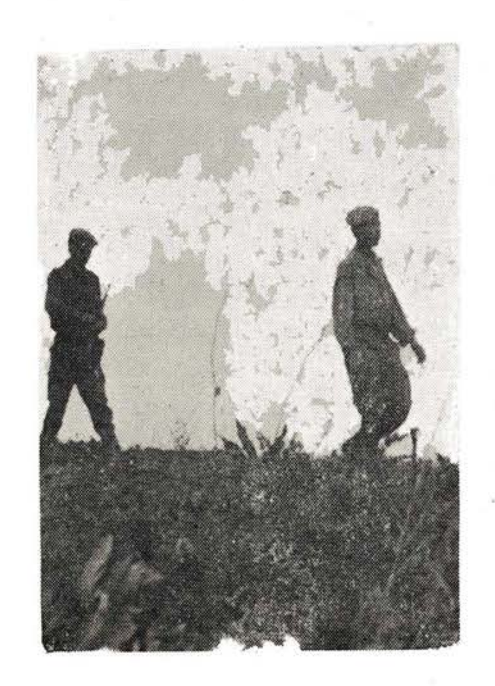
كانوا متصلين بضباط سامين رغم المجهودات لم أتمكن من أسمائهم ، وهنا أتوقف عن التعبير لاعطى تلخيصات على سيرة الاخوة

الثلاثة والعمليات التى قاموا بها ،
أول عملية بالدائرة هى حرق محتشد للاستعمار وقتل كل من كان فيه ، ترأس هذه العملية الاخوة كمال وبوسدرة ، نجحت العملية بدقة ، ولكن من سوء الحظ بعد جروح معدمة فى ذراعه هرب الملازم الفرنسى الذى كان بالمحتشد وتمكن من معرفة الاشخاص القائمين بالعملية ، كانت هذه العملية بسيدى الجلالى قرب سبدو، ولما ذهب الملازم الفرنسى الى العريشة نقلوه الى المستشفى حيث قضى هناك 15 يوما بتلمسان وعاد الى صفوفه ، بعد ماعاد ، ذهب فى يوم من الايام الى خيمة بوسدرة وحمله معه ومعهم أخيه ، ولما ابتعد بهم قتلهم وعاد بهما الى امهما وقال بلهجة استهزاء : (ها نحن قد قتلنا الفيران التى لم تتركنا ننام) ضرب هذا المثل ونسى ان فى الجزائر أسود لافيران ، هذا ماكان من أمر بوسدرة رحمه الله كانت موته فى الفصل الاخير من سنة 1956 .

أما المسمى كمال محمد رمضان فقد لجأ الى جبل سيدى العابد قرب العريشة ولاية تلمسان حيث كون فرقة لابأس بها .

وفى بداية سنة 1957 ، عثر الاستعمار على المجاهدين الذين كانوا فى جبل الحيرش ، فنشبت معركة بين الثوار والجيش الاستعمارى ، ذلك الاشتباك ذهب ضحيته شهيد واحد ، أما خسائر الاستعمار فكانت تقدر بما يقرب عن عشرة جنود ، ومن الذين حضرو هذا الاشتباك وهم اعيان الثوار :





ـ الشهيد المذكور سابقا (كمال)
ـ شنافة مرزاق (لازال على قيد الحياة)
ـ سعيد بن الميلود (لازال على قيد الحياة)

وبعد هذهالعملية توجه المجاهدون الى دائرة المشرية ، وببلدية بن عمار فى القزدير حيث قاموا بعملية ثانية ، وكانت ناجحة عن العمليات الاخرى لم يضيع لهم فيه حتى شىء وزيادة على ذلك غنموا اشياء كثيرة من الاسلحة الاستعمارية وهكذا أستمر الشهيد المذكور فى نضاله الى سنة 1958 ، حيث انتشر جيش التحرير فى جميع التراب الجزائرى فأنضم اليه برتبة ملازم ثم سنة 1959 ، كان محافظ سياسى وبعد شهور قليلة من نفس السنة ارتقى الى رتبة نائب مسؤول الناحية رقم 1 المنطقة رقم 1 ـ ومحافظ سياسى فى نفس الوقت وفى سنة 1960 ، وفى الفصل الاول منها ، أحتفظ بمرتبة مسؤول ناحية ودائما بالناحية رقم 1 المنطقة رقم 1 .

فى 27 نوفمبر 1960 ، كان فى جولة استطلاعية مرفوقا بكاتبه (السهلى) وجندى يسمى (سحاب) ، ولما وافاه الاجل المحتوم صبيحة اليوم المذكور على الساعة التاسعة أختلط مع دورية فرنسية بقيادة (محمد بن عجينة) الذى كان يقود الجيش الفرنسى وكان ملازم ، فوقع بينهم اشتباك فى لوجرات قرب العريشة ، كانت ضحيته روح الشهيد كمال محمد رمضان وجرح الجندى المرافق له وهو لازال على قيد الحياة ، وخسائر العدو كانت 3 ـ مجاريح وواحد قتيل

المحرر : عبد الحاكم كمال المشرية

ولاية سعيدة



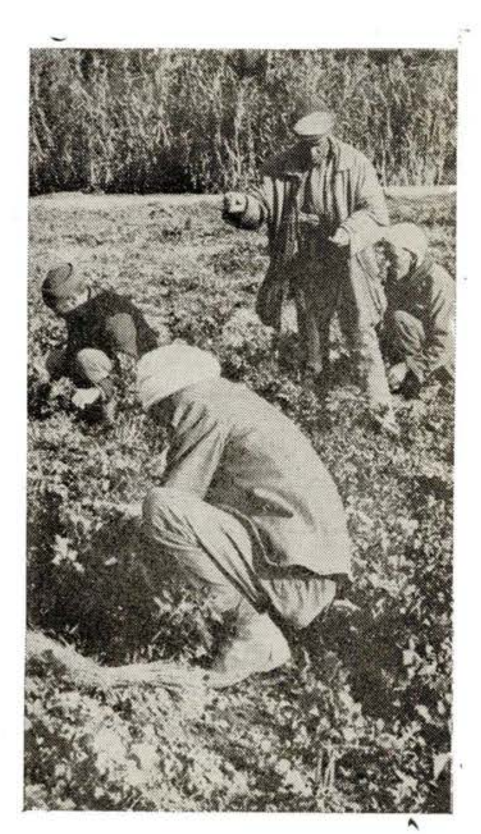
يسجل التاريخ الجزائرى البعيد جدا أن هذه الارض كانت مخزنا زراعيا غنيا ظلت خيراته الفلاحية تشبع مجاعة الشعوب التى كانت تبحث عن ذلك أنى كانت الاساليب الممارسة لضمان ذلك فى حق شعب هذه الارض الطيبة .

وهنا تكمن الى حد بعيد أسباب تلك الغزوات العدوانية التى استهدفت على امتداد طول التاريخ هذه البلاد .

ولئن حاول عباقرة التاريخ الاجانب تجاوز حقائق تفسير أسباب حملات بلدانهم الوحشية على الجزائر والاجتهاد لتثبيت مايمكن ترتيبه ضمن عوامل ثانوية غير ذى أهمية . فان هذه الحقائق ستظل أكبر من كل مسخ وأخلد من كل تزوير .

لقد كان العامل الاقتصادى والى هذا العصر بالذات المحرك الاساسى فى كل حركة استعمارية عرفها الانسان فوق سطح هذه الارض فى أى ظرف زمانى ومكانى من تاريخ الانسانية الضارب فى أعماق العصور المتقدمة .

الحلم الحقيقة



هو نفسه الذى دفع الدولة الرومانية الى حملات توسعية فى مختلف الاتجاهات مما اعطاها فى الاخير شكلا امبراطوريا متباعد الاطراف بعد أن كانت تشكل بعض جزر جنوب شرق البحر الابيض المتوسط .

وهو أيضا الذى حرك فى ضمائر العثمانيين فكرة تكوين امبراطورية يتجاوز نطاقها كل الاشكال التى عرفها قبل ذلك التاريخ . وغطى ظلام السيطرة التركية اجزاء واسعة من قارات ثلاث آسيا وافريقيا وأروبا .

وهو الذى بعث وبدرجة عالية من الشراسة أوروبا الفقيرة مع نهاية العصور الوسطى من سباتها العميق وقذف بها الى دائرة اليقظة والحرص على تجاوز كل حزازاتها المحلية .

وتحركت بعض دول **هذه القارة** فى اتجاهين وفى وقت واحد :

1 اتجاه نحو الذات : وتمثل فى الاصلاحات الجذرية للاوضاع العامة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية التى ظلت لعهود طويلة اسيرة لها .

2 الانطلاق فى حملة خارجية استعمارية واسعة ضد شعوب قارات اخرى لم تستطع مسايرة كل ما أستحدث لاختلافات جوهرية ليس هذا مجال التعرض لها .

تحركت اذن أوروبا عالميا وكان ذلك على محاور ثلاث :

أولا : الهجرة الى أمريكا — تلك القارة التى قالوا عنها أنها عذراء ولهم فضل اكتشافها وبالتالى امتلاكها وسحق كل المخلوقات البشرية الاصلية فيها . وقد سجل ذلك التاريخ الامريكى وهو ما يعرف بالحروب الابادية ضد الهنود الحمر .

ثانيا : قطع البحر الابيض المتوسط والغوص جنوبا بمحاذاة الشواطىء الشرقية من المحيط الاطلسى أى الاتجاه نحو افريقيا — تلك القارة التى عرفت أبشع الالوان الاستعمارية ولازالت تعانى من ويلاتها حتى الآن رغم فوز معظم دولها باستقلالاتها السياسية .

وهنا على الجانب الجنوبى من البحر الابيض المتوسط تجثم دول المغرب العربى الثلاث المغرب ، الجزائر ، تونس .

ثالثا : وان جاء متأخرا فهو بعد

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وثيقة الاستفادة من أرض الثورة الزراعية

ولاية الجزائر العاصمة

بموجب ميثاق الثورة الزراعية وتطبيقا للأمر المتضمن للثورة الزراعية.

وبناء على اقتراح المجلس الشعبي البلدي الموسع لبلدية خميس الخشنة

وبعد مداولة المجلس الشعبي للولاية.

نحن الموقعين أدناه. والي الولاية

نصرح أن السيد ساهل محمود بن عبد القادر مقبول للاستفادة من أرض الثورة الزراعية

بشكل مشترك. في تعاونية

بلدية خميس الخشنة

ومساحة أرض التعاونية احدى وثلاثون (31) هكتار و50 آر

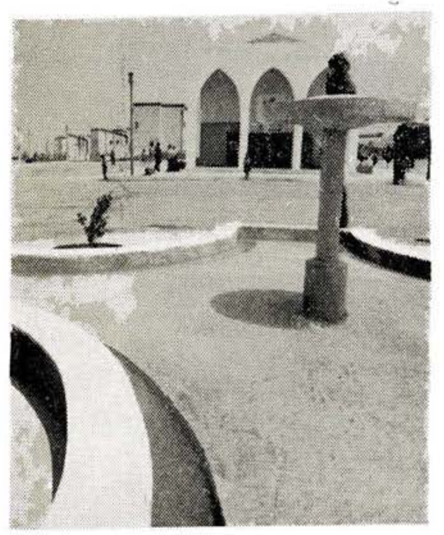
طبقا للقرار رقم 228 بتاريخ 15 يونيو 1972

وإثباتا لذلك، منحت له هذه الوثيقة

حرر في الجزائر بتاريخ 17 يونيو 1972 الامضاء الوالي

ضمن الحملة الاستعمارية – وكان نحو شرق وجنوب شرق آسيا . وحتى هذه اللحظات لا تزال بعض اقاليم هذه المنطقة مسرحا لحروب تجاوزها الزمن .

ان هدف هذا التحرك الاستعماري الاوروبي كان واضحا منذ بدايته – السيطرة على أراضي شعوب البدان الاخرى – وضمان أكثر الشروط ملاءمة لتقدم الانطلاقة الصناعية الضخمة التي قطعت – أشواطا هامة في حقل الانتاج وبقدر أكبر من طاقة السوق المحلية – وهو ما يعني الاختناق وهذا ما لن ترضاه أوروبا الناشئة مهما كانت طبيعة التضحيات التي سوف تدفعها لتفادي ذلك .



وكان حل بوادر الازمة بيد الجيوش الاستعمارية . ودخل العالم كله بداية عصر جديد كانت أكبر مميزاته تسلط عدد من الدول على أكثر من ثلاثة أرباع مساحة العالم كله .

نهاية السيطرة العثمانية وبداية تسلط الدول الغربية : شهد الربع الاول من القرن التاسع عشر احداثا تاريخية كانتعلى جانب كبير من الاهمية – اذ بدا واضح عجز امبراطورية تلك الفترة عن اعادة

فرض هيمنتها على عدد من الاقاليم الاوروبية . لقد كانت الامبراطورية العثمانية تناوش على جبهات مختلفة ولا نقول أنها كانت تحارب اذ لم تكن لها من القدرة ما يساعدها على تغطية كل تلك الجبهات الواسعة لاسباب داخلية طاحنة وظروف خارجية متطورة لم تعطها التقدير المناسب .

دب الهرم فى هيكل الامبراطورية الكبيرة وظهر ذلك عمليا فى الاقاليم الخاضعة لولائها بقدر حرك الاطماع فى نفوس الاوروبيين بصورة عامة فانطلقوا فى حركة استعمارية كبرى .

واستهدف الاستعمار الفرنسى الاقليم المناظر له والجاثم على ضفاف البحر الابيض المتوسط . وذهب الفرنسيون فى تبرير احتلالهم الجزائر مذاهب شتى أجمعت كلها على ضرورة التسلط الذى من شأنه ان يضمن لفرنسا حدا كافيا لتجاوز ما كان يعتمل فى بطنها من ازمات وفتن اجتماعية واقتصادية وسياسية .

وسلك الفرنسيون منذ اليوم الاول من دخولهم الى هذه الارض سياسة لا تختلف كثيرا عما مارسوه ابان رحلاتهم الاستيطانية الى امريكا — ورغم قساوة الظروف التى وجدت عليها البلاد — آنذاك فقد استجمعت كل قواها واقبلت على ميادين القتال ضد الغزاة الجدد — وشكل الرفض الشعبى للاحتلال الفرنسى سلسلة من حروب المقاومة كانت فيها معارك الامير عبد القادر أول حلقة .

قاوم الشعب الجزائرى وطيلة الوجود الاجنبى أحتلالا كان يريد أكثر من فرض السيطرة وابعد فى مراميه عن أهداف كل لون استعمارى عرفه الانسان عبر التاريخ .

كانت السهول الجزائرية الخصبة هى الهدف ومن ثم الثروات الزراعية المتنوعة التى تنتجها تلك السهول .

وكان الايمان القاطع لسياسة سلخ الاملاك من ملاكها كيفما كانت الاساليب التى تطبقها لتحقيق ذلك .



وكان العنف وحده هو اللغة التى خاطب بها الفرنسيون سكان الارض المحتلة . وكشف الكثير من الفرنسيين ومن مختلف الفئات عن نواياهم المبيته فى الوقت المناسب لهم وتجمعت فى ذاكرتهم كل رواسب الماضى الدفين وتعاملت مع معطيات جديدة ناتجة عن فرض السيطرة . وخرجت فى النهاية بجملة من قوانين نزع الاملاك من المواطنين الجزائريين وتوزيعها على جيوش المعمرين الوافدة من فرنسا وغيرها من الدول الاوروبية .

ووجد الرجل المعمر نفسه فى لحظة سيد أملاك سهلية واسعة لم يكن يطمح حتى لمجرد الحلم بها .

وازدادت قدم هذا المعمر مع السنين رسوخا وتوسعا لتشمل كل مناطق السهول الجزائرية .

كان هذا يطبق على الارض فى حين كانت تجرى حملات ابادية على مستوى الفلاحين لا لسبب وانما فقط قتلا لاى تجرؤ على المطالبة بالارض . ولم تكن أبعاد هذه العملية غامضة عن وعى وادراك أصحاب الاراضى المنزوعة الذين اجلوا الى المناطق الجبلية والى الاقاليم الجافة .

اذا عرفنا أن المساحة الصالحة للزراعة فى هذه البلاد الشاسعة ادركنا حقيقة ما ظل يعيش فيه ريفيونا خلال عشرات السنين من فقر وحرمان وكد دائم لضمان أيسر ضروريات الحياة البسيطة .

لم تكن المساحة الجيدة تتجاوز (6,800,000 ستة ملايين وثمانمائة ألف هكتار فى كامل شمال البلاد الذى يستوعب أكثر من 8 ملايين نسمة .

وقد تمكن المستعمرون ابان الاحتلال من مصادرة الاراضى من المواطنين وتوزيعها على مجموع المعمرين وفق الجدول الاتى :

السنة	المساحة مقدرة بالهكتار
من 1840 — الى 1860	765,000 هكتار
ومن : 1860 — الى 1880	517,000 هكتار
ومن : 1880 — الى 1900	243,000 هكتار
ومن : 1900 — الى 1920	200,000 هكتار
المجموع	1,325,000 هكتار

ويضاف الى ذلك وفى الوقت ذاته ما كانت بعض العائلات الجزائرية قد أرغمت على بيعه للمعمرين نتيجة لضغوط مختلفة ولاحكام القوانين العقارية التى كانت تجبر الملاك على التخلى عن أراضيهم مثل قانون « فارينى » الذى قامت بموجبه الملكية الفردية على الاراضى التى

الحلم الحقيقة

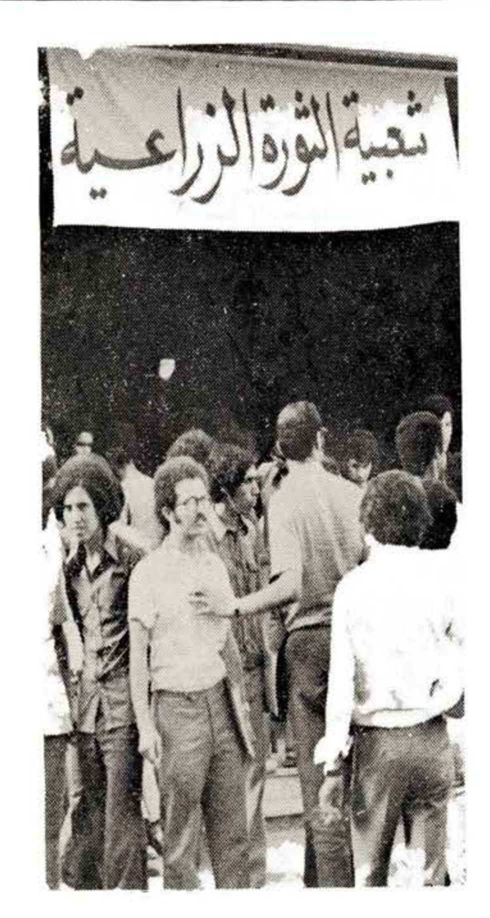
كانت قبل ذلك مشاعة اوجماعية .

وبهذه العملية وغيرها أقتطعت على حساب الفلاحين الجزائريين ما لايقل عن 2500000 هكتار تعد من أجود ما أمتلكه المستعمرون . والى جانب هذا فهناك المساحات الشاسعة التى اقتطعت من المراعى والغابات وما وضع منها تحت التضييق فى جمال حقوق التصرف وما انتزع بأساليب غير مباشرة ومن خلال الضرائب الحربية الجسيمة . كل هذه العوامل دفعت بصورة نهائية الفلاحين الى اللجوء الى المناطق القاحلة وفلاحة الرقع الوعرة بوسائلهم البسيطة والبقاء دوما تحت رحمة الفاقة والجوع الدائمين .

ومن هنا أيضا يعطى التفسير السليم لتلك الانتفاضات المتواصلة التى عبرت من خلالها وبغيرها دوما جماهير الطبقات الكادحة فى هذه البلاد عن رفضها لبقاء الاحتلال الفرنسى ولكل نتائجه المخطط لها . وكان من الطبيعى ان تكون الارياف والجبال الجزائرية المهد الاصلح والانسب لاحتضان كل الثورات التى هزت احداثها استقرار الامن الذى ظل ينشده الجندى والمعمر الفرنسيين معا .

وتحت هذه الظروف التى أرهقت كاهل الفلاح الجزائرى واظطرته الى الهجرة بعيدا حيث الخلاص من النفوذ المباشر لذوى الاقدام السوداء، اخلصت بعض العناصر الموالية للسيطرة الاجنبية ووضعت نفسها وسيطا بين السلطة الاستعمارية والملاك الجزائريين ولعبت بكل ذكاء ووفق ما تضمن به لجموع المعمرين ولها الانفراد بالاجود من الاراضى والسهر على أعطاء كل عمليات السلخ التى تمت وعلى مراحل تاريخية متتالية طابعا قانونيا أكثر قبولا فى كل الاوساط بما فيها الفرنسية والاوروبية .

الثورة الكبرى وبداية تقلص حجم نفوذ المعمر : لم يكن تسلط جماعات



المعمرين مقتصرا على المناطق الساحلية من البلاد بل فرض وجوده حتى على الاقاليم السهلية الداخلية وحيث توفر التربة الغنية . وعلى مستوى اقليم واحد كانت المساحات موزعة بين المعمرين الذين انشأوا مزارع ذات مساحات على جانب كبير من الاهمية ومزودة باحدث الالات الزراعية التى تحققت صناعيا فى هذا الميدان .

وفى الوقت الذى كان فيه الفلاح الجزائرى يضنى كل قواه الجسدية فى استصلاح امتار يستدر منها قوة عياله البائسة . كان المعمر يعالج كل تلك الاطراف السهلية الخاضعة لادارته بأكثر الوسائل اثراء للارض سعيا وراء مردود اكبر .

ومع تفجر ثورة نوفمبر 1954 الكبرى دخل قسم كبير من هذه المزارع مرحلة جديدة اذ تعرض بعضها الى هجمات فصائل جيش التحرير الوطنى لارتباطها العضوى بقوات الاحتلال الاجنبى .

ومن هنا بدأ الاحساس بفقد السيطرة على الارض ومن عليها ينمو فى اعماق المعمرين سيما لدى من كان منهم يستوطن المناطق الداخلية من البلاد .

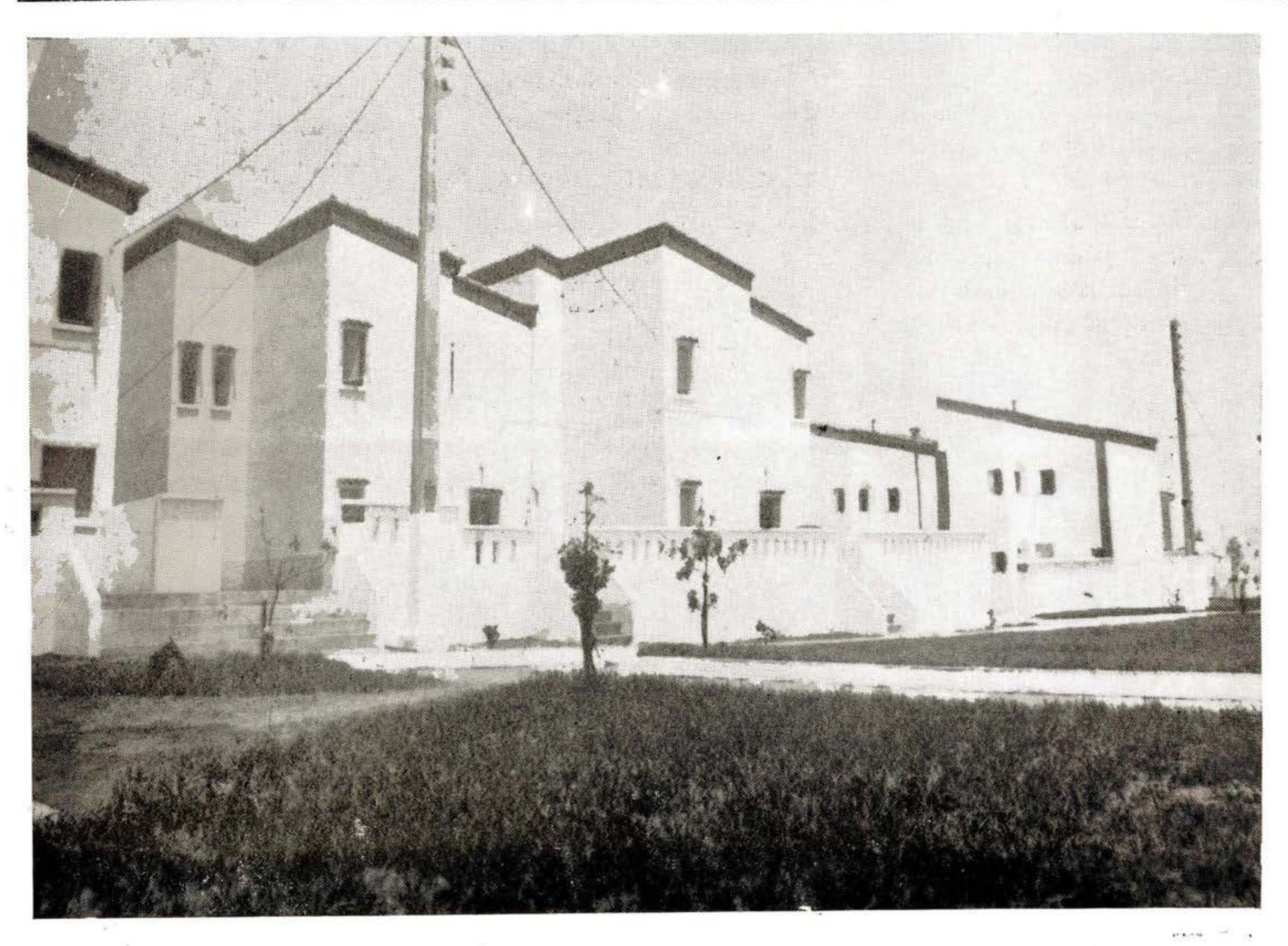
ورغم كل المخططات التى حاولت القوات الاستعمارية فرضها طبقا لارادة المعمرين فقد تجاوز ايمان الشعب الجزائرى بحقه فى استعادة أرضه كل محاولة أخلص لها المخططون الاستعماريون ونفذتها قواتهم المسلحة . وكلما ازدادت الثورة غوصا فى أعماق الجماهير الشعبية الكادحة ازدادت حرارة فقد السيطرة تمكنا من نفوس المعمرين .

ولقد سعى عدد كبير منهم الى الالتجاء الى الجيش واستخدامه كآخر أداةللتمكن من العروش الزائلة — متجاهلين تغير الظروف التى عمت كل الافاق .

ولم تبق بصورة شبه دائمة ابان سنوات الكفاح المسلح سوى المزارع الساحلية التى تشكل منطقة متيجة النموذج الامثل لها — ومع الايام الاولى من حصول البلاد على استقلالها جمع المعمرون حقائبهم للرحيل بعد أن خربوا كل ما كان فى تلك المزارع من وسائل وآلات فلاحية كآخر تعبير عن اليأس الذى بات الحقيقة الاكيدة والحتمية التى نقلها المعمرون الى بلدهم الطبيعى والاصلى فرنسا .

الاستقلال وتجربة التسيير الذاتى:

من الطبيعى أن تتجمد العملية الانتاجية فى تلك المزارع التى كانت تديرها قبل الاستقلال جماعات المعمرين بعد أن تخربت كل المرافق الضرورية للانتاج وعلى الرغم من أن البلاد لم تكن تواجه مشاكل فى حقل معين بل كانت كل الهياكل التى تشكل فى صورتها النهائية دولة مفككة واجهت الجزائر ذلك كله لكن المشكلة الزراعية كانت أكثرها الحاحا واستعجالا لارتباط مصير الناس بها الى حد بعيد ، فطرحت فكرة التسيير



الذاتى كأختيار أولى لانتشال الوضعية الزراعية من الاهمال المبيت لها الى جانب الفشل العام والسريع الذى كانت نتائجه متوقعة من قيام دولة فتية من لا شيء . لكن الثورة التى حررت البلاد من التسلط الاجبى

كانت كفيلة بتوجيه هذه البلاد نحو آفاق مستقبل عتيد متجاوزة كل العراقيل والمصاعب المرصودة .

وتشكل مساحة الاراضى المسيرة ذاتيا ثلث ما هو صالح للزراعة وقد أعيد تجهيز مجمل المزارع بالالات الهامة التى كانت تفتقر اليها وتواصل الانتاج مرة أخرى غير أن تسيير هذه الاراضى لم يكن خاضعا للفلاحين

والعمال القائمين بذلك وانما كانوا أجراء ونتيجة احساسهم بذلك فقد سادت روح عدم المسئولية مما أدى

الى اضطراب الانتاج وانخفاض كمياته بدرجات غير مقبولة — وظهرت سيادة البيروقراطية المقيمة لتفرغ هذا النظام من التسيير من محتواه

الاشتراكى واثر تصحيح التاسع عشر جوان 1965 دخل نظام التسيير الذاتى مرحلة اللامركزية التى ضمنت للجماعات العمالية امتيازاتها بشكل تدريجى .

وقد عزز حركة التجديد للتسيير الذاتى الامر رقم 68 — 853 الصادر فى 30 ديسمبر 1968 ما تلته من جهود — استثمارية مما أصبح عليه طابع الاختيار الامتيازى لفائدة اشتراكية ديموقراطية توفر التنمية الديموقراطية للمزارع المسيرة ذاتيا وتوفر اجواء تطوير العمال الى مستوى المنتجين المسؤلين والمستفدين

فعلا من ثمار جهودهم .

ضرورة نقل الثورة الى القطاع الخاص : ضبطت الارقام التى جمعتها مصالح وزارة الفلاحة والاصلاح الزراعى أن مساحة أراضى القطاع الخاص تشكل ثلثى مجموع جمل الاراضى الصالحة للزراعة . ويسعى لكسب رزقه منها ما يزيد عن 5 ملايين نسمة . وتخضع الملكية بصورة دقيقة فيها لنظم مختلفة منها ما هو ملك مشاع أو وقف أو ملك جماعى الى غير ذلك من الاشكال المتباينة وكشفت التحقيقات الاخيرة عن ان الملكيات

الكبيرة غير قليلة وان قسما هاما من الاراضى القابلة للزراعة يملكها حضريون أو أشخاص لا يمارسون مهنة الفلاحة ويكتفون بأقتطاع ايراد الارض مستنزفين بهذه الطريقة مدخول سكان الارياف . ويقاس

الحلم الحقيقة

استغلال الاراضى الخاصة كثيرا من الاضرار الناتجة عن عدم المساواة — وقد تكفى دلالة الارقام الاتية التى تحصلت عليها وزارة الفلاحة والاصلاح الزراعى والخاصة بشمال الجزائر لتبيان الصورة فى هذا القطاع .

عدد المزارع	المساحة	النسبة الى مجموع أراضى القطاع الخاص
16ر500 مزرعة	تزيد مساحتها على 50 هكتار	تمثل 25٪ من أراضى القطاع الخاص
147ر000 مزرعة	مابين 10 ، 50 هكتار	تمثل 50٪ » » »
114ر000 مزرعة	تتراوح ما بين 5 ، 10 هكتار	تمثل 15٪ » » »
310ر000 مزرعة	تقل عن 5 هكتارات	تمثل 10٪ » » »

وهذا ما يكشف عن أن كبار المستغلين الذين لا يمثلون الا 3 ٪ من المجموع يملكون وحدهم 25 ٪ من المساحة القابلة للزراعة فى حين لم يصل الفلاح الكادح حد الكفاية .

وقد ازدادت خطورة هذا التباين ليسبب نقص الزراعات الكثيفة فى المزارع الصغيرة .

واذا اخذنا بعين الاعتبار أن 96 ٪ من مساحات القطاع الخاص مخصصة لزراعة الحبوب وأنه ينبغى لاستثمار 10 هكتارات من الحبوب كحد وسط فى بلدنا استخدام شخص وتغذية عائلة بصفة بسيطة لتحققنا أن هناك (425ر000) مشتغل أى ما يساوى 72 ٪ من المستغلين وعائلاتهم يعيشون باقل من مستوى الحد الادنى من المعيشة — ولوجدنا أن أكثر من نصفهم ملزم بايجاد موارد تكميلية لمعيشته سواء كان كعامل زراعى موسمى أو كعامل فى ورشة تابعة للدولة أو كمهاجر . والمستغلون الذين يملكون المساحات الكافية لا يشكلون الا أقلية قليلة جدا ذات امتيازات بالنسبة لمجموع الفلاحين المحرومين .

الثورة الزراعية : **قضاء على الاستغلال وسبيل الى الترقية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المنشودة :** ان اختيار البلاد ادخال الثورة الى الميدان الزراعى كأسلوب أنسب لمعالجة المشكلة الزراعية كلها ومن الاساس فى الجزائر اختيار طبيعى يضمن للطبقات الكادحة التى عانت الكثير من الاستغلال التغييرات العميقة المطلوبة التى بذل من اجل حدوثها الفلاح الجزائرى أعز ما يملكه الانسان فى هذه الحياة وهى التضحية بروحه . ان الثورة الزراعية ليست مجرد عملية تأميم واعادة توزيع للاراضى وانما هى توزيع عادل وفعال لوسائل الانتاج بما يكفل التحويل الجذرى لظروف الحياة والعمل للفلاحين من خلال مساعدة الدولة — هى لا تستهدف الغاء حق الملكية وانما تسقط امكانيات بعض الملاك فى استغلالهم الفلاحين لفائدتهم . ثم هى تستهدف ادماج الفلاحين فى مجهود تنمية البلاد بعد أن تعطى لكل فلاح لا يملك ارضا ما يمكن له به اعالة اسرته والمساهمة فى التنمية العامة للبلاد .

اجتياز المرحلة الاولى :

تميزت سنة 1972 بدخول الثورة الزراعية نطاق التطبيق العملى بعد ان كانت مجرد نصوص نظرية عملت على صياغة فقراتها اللجنة الوطنية للثورة الزراعية . وكانت أول خطوة تطبيقية أشراف الرئيس هوارى بومدين يوم 17 جوان 72 بخميس الخشنة على حفل توزيع رخص الاستفادة من اراضى الثورة الزراعية على مجموعة من الفلاحين .

وعمت نفس الخطوات كامل ولايات البلاد وتحقق من خلال ذلك الشعار الذى رفضته الثورة وظلت اصداؤه متجاوبة مع اعمق أمانى الفلاحين وهو « الارض لمن يخدمها » وانتهى عام 72 بعد أن شهد ميلاد العشرات من التعاونيات الفلاحية وتحمل الفلاح مسئولية المساهمة فى بناء رفاهية البلاد للمرة الاولى فى تاريخ هذا الوطن — واجتازت بذلك الثورة الزراعية أولى مراحلها .

ضبط وتحديد الملكية الخاصة :

وتأتى بعدئذ المرحلة الثانية من هذه الثورة وتتضمن احصاء أراضى القطاع الخاص ثم تحديد الملكية الواسعة بقدر يزيل الفوارق التى تسود العالم الريفى — وتمكين كل فلاح من الفرص المتساوية . وتحديد — المساحات القصوى وفقا للاوضاع الطبيعية والامكانيات المتغيرة من منطقة الى اخرى .

ولا يمكن اعتبار أثار تحديد الملكية تجزئة وتفريقا وان تعرضت وحدة الانتاج القائمة لذلك فلابد من معالجة ذلك فى الظرف المناسب .

وهناك الملكية المشاعة التى سوف تنظم فى وحدات تعاونية عائلية بدلا من ازالتها — وما استهدفته هذه الثورة فسوف يتحقق ولن تستطيع اى قوة مهما كانت طبيعتها التصدى للامال العظيمة لجماهيرنا الكادحة — وثورة جنودها الفلاحون والعمال والطلبة وكل الفئات الاخرى الحية فى هذه البلاد لن تفشل أبدا اذا تمت دراسة مراحل تطورها على شكل يراعى فيه الترتيب المعقول الذى لا يمس مبادئها ولا سلسلة مجموع أعمالها .

بقلم : محمد الطاهر صالح

الحملة الوطنيّة لجمع الوثائق

من إعداد مولو بلقاضي



ان الاهمية العظمى التى تكتسيها الحملة الوطنية لجمع وثائق الثورة التحريرية ، دفعتنا ان نجـــرى الحديث مع الاخ خيارى مدير المتحف الوطنـــى للمجاهد ، عن النتائـــج التى توصلوا اليها فى هذه المهمـــة الشريفة ، التى تعتبر واجبا مقدسا على كل مواطن جزائرى غيور على وطنه وعلى تاريخ أمته .

وقد تفضل علينا الاخ خيـــارى بقسط من وقته ، فأجرى معنـــا الحديث التالى : ..

س — الاخ خيارى بصفتكم مدير المتحف الوطنى للمجاهد ، لو تفظلتم بتقديمكم لنابعض التوضيحات عن النتائج التى توصلتم اليها ، فيما يخص الحملة الوطنية لجمع وثائق الثورة المسلحة .

وكيف استقبل المواطنون هذه الحملة بصفة عامة والمجاهدون المسلحة بصفة عامة والمجاهدون بصفة خاصة ، وماهو شعورهم نحو هاته الحملة .

جـ — قبل كل شىء يسرنى ان ارحب بكم وان اتناول الحديث معكم فى هذا الميدان الذى يهمنا جميعا .

لقد ابتدأت الحملة يوم 8 ماى 74 بعد ان افتحت . رسميا من قبل الرئيس هوارى بومدين رئيس مجلس الثورة والحكومة ويمكننىان اقسم هذه الحملة الى قسمين .

ا — قسم سياسى

ب — قسم تقنى

فاما القسم السياسى هو ربط هذه الحملة بذكرى 6 ماى 45 التى تعتبر ذكرى اليمة بالنسبة لشعبنا، حيث سقط فى هذه الذكرى الاليمة مايزيد عن 45 الف جزائرى فى ايام معدودة وفى مناطق معينة من بلادنا نتيجة الحقد الاستعمارى البغيض على شعبنا قصد ابقائة تحت السيطرة الاستعمارية لسلب خيرات هذا البلد الكريم .

فالشروع فى الحملة فى هذا اليوم بالذاة يكتسى صبغة خاصةلانه يربط حلقة الماضى بالحاضر ، حلقة من بين الحلقات الثورية المتعددة التى تبرز بكل وضوح التضحيات الجسام التى بذلها شعبنا من اجل انتزاع بلاده من براثن الاستعمار والدليل الحاسم على الرفض القاطع للقبول بالامر الواقع ، ومحاولة من بين المحاولات العديدة لطرد المستعمرمن هذا الوطن بكل مايملكه من الوسائل والدليل على ذلك هو خروجه فى هذا اليوم الى الشوارع ينادى بالحرية ويتغنى بالاناشيد الوطنية ، رافعا الاعلام الوطنيةفوق الرؤوس مقتحما صفوف العدو الذى جهز كل آلاته الجهنمية لقمع مثل هاته المضاهرات التى تعبر عن طموح شعبنا فى ارادته بالعيش فى ظل الحرية والكرامة .

ويعتبر هذا اليوم درسا قاسيا وتجربة حاسمة بالنسبة لشعبنا جعله يفكر فى الطرق الجديدة للثورة تكون على مستوى مايتطلبه الوقت



تكون على مستوى مايتطلبه الوقت من حذر ومن خطط محكمة لردع العدو الذى لايفهم الا منطق القوى .

وقد كان هذا اليوم بمثابة خميرة لثورة اول نوفمبر نتيجة التجارب القاسية والصعب التى لاقاها شعبنا فى نظاله الطويل المرير ، وكان من الضرورى ان يرتبط اول نوفمبر بحلقاته الاولى ولا يمكن ا نتنفصل ثورة اول نوفمبر عما سبقته من الثورات المتعددة التى عرفها شعبنا منذ احلال المستعمر ببلادنا الى ان طرد منها بدون رجعة سنة 62 .

لقد حاول المستعمر ان يطمس كل هاته الحقائق وشوه تاريخ بلادنا ، اذا فالمغزى العميق من الاحتفال بهذين الحدثين 8 ماى 45 وانطلاقة الحملة الوطنية لجمع وثائق الثورة المسلحة ، له مغزى عميق الا وهو الربط بين الاجيال الماضية بالحاضر وتمديد هاته الحقائق الى اجيال المستقبل قصد استمرارية الثورة بكل ماتحمله من معانى الحقيقية لهذا المفهوم الثورى فى جميع ميادين البناء والتشييد والكشف عن الجذور العميقة لثورة اول نوفمبر 54 . وهى عملية دقيقة وتستدعى بذل كل الجهود سواء البشرية منها او المادية لانجاحها

وقد حرصت قيادة الثورة على تحقيقها

ومن اجل هذا الغرض نصب فى هذا اليوم رسميا رئيس مجلس الثورة والحكومة اللجنة الوطنية لجمع الوثائق ، قصد توفير الشروط اللازمة لانجاح هذه الحملة .

ومن ذلك قامت وزارة قدماء المجاهدين هى بدورها بعمل جبار تتمثل فى اعداد كل الهياكل الضرورى المادية والبشرية وسبقتنا لهذه الحملة فى الميدان التقنى قبل ايام واعددنا الشروط الضرورية لها ، ثم شكلنا لجان على مستوى كل ولاية وقمنا بجملة الشرح والتوعية قصد التفهيم بالمغزى العميق لهذه الحملة الكبيرة .

وقد توصلنا الى حد الان الى نتائج مرضية رغم جل الصعوبات التى اعترضتنا فى هذا الميدان ، وهذه النتائج قد اعلن عنها الوزير بمناسبة اجتماع المجلس الوطنى للمجاهدين وهى كما يلى .

15000 خمسة عشرة الف وثيقة مكتوبة « مناشير ، مجلات ، الجيش النشرات الداخلية ، عروض حال ذات الصبغة العسكرية والسياسية واجتماعية الخ » ووثائق اخرى تاريخية ذاة القيمة الكبرى .

و 7000 صورة تمثل حياة المجاهدين فى الجبال ، و ٥٠٠ اشياء اخرى متنوعة عسكرية . كمصورات ونظارات مزدوجة ، راقنات بالعربية والفرنسية الخ .

ومائة بندقية ، ثقيلةوخفيفة تابعة للمجاهدين اغتنموها فى المعارك من طرف العدوهذا كما قلت ماصرح به الوزير فى الايام الماضية ولكن ماهو موجود عندنا الان يفوق هذه الارقام بكثير ، وهذا ان دل على شىء فانما يدل على الثورة العظيمة التى يمتلكها شعبنا لكتابة تاريخ ثورتنا المجيدة .

اما من ناحية انطباعات المواطنين بهذه الحملة فقد لاحظنا شعور المواطنين يعبر تعبيرا صادقا فىمدى رغبتهم فى انجاح هذ ءالحملة وهذا يتجلى فى المساعدة التى يبذلونها لجمع هذه الوثائق التاريخية وفى حماسهم المنقطع النظير للكشف عن كل مايتصل بالثورة التحريرية فى .

الميدان ، ولذا عمدنا على تكوين محققى للبحث والكشف عن الحقائق التاريخية ، والمحافظة على تلك الوثائق فهى تتطلب عناية دقيقة حتى لا تضيع الفائدة منها .

وهذه صورة العملية

ا ـــ من اجل المحافظة على تلك الوثائق ، تعطى لها ارقام فى نفس المكان ويسجل على الاستمارة التى اعدت خصيصا لهذا الغرض فهى تمثل بطاقة تعريف لكل وثيقة ، بعد ان تعمر بصفة دقيقة ويسجل فيها كل الجوانب التاريخية الزمانية والمكانية تأخذ الى المركز الجهوى ثم تنقل الى المركز الادارى العام لتعطى لهاارقام اخرى تسمىبالارقام النهائية ويوجد فى هذا المركز العام سجل كبير لتسجيل كل الوثائق التى ترد علينا فى كل وقت .

اما بالنسبة للتدريب الذى وقع فى بن عكنون قصد تكوين محققين فى هذا الميدان قام به استاذان مختصصان فى علم المتاحف تحت اشراف الهيئة العالمية للمتاحف

وزارة قدماء المجاهدين .
المتحف الوطني للمجاهد .

جرد الوثائق المجموعة في الميدان
(قائمة الوثائق التي جمعها المحقق خلال العملية)

جميع الميادين المختلفة . ومساعدتهم لاخواننا المتنقلين قصد التحقيق فى عين المكان لهاته الوثائق ، وتحديد كل الجوانب التاريخية لتلك الوثائق

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى هناك جانب تقنى محض تتمثل فى اعداد الحملة من الناحية المادة .

ا ـــ عقدنا ملتقى فى بن عكنون قصد تكوين محققين لان العملية جد معقدة تحتاج لذوى الخبرة فى هذا

التابعة لليونيسكو ، وقد قدما للطابة نظرة على علم المتاحف والجمهور الذى يدخل المتاحف وكل ما يتصل بعلم المتاحف ، وكيفية استعمال الادوات الوثائقية قصد الحصول على اكبر نسبة من المعلومات على وثيقة ما تتعلق بمعلومات الثورة الجزائرية . ليستعملها المؤرخ فى يوم من الايام .

وزيادة على المحاضرات النظرية قاموا بتدريبات تطبيقية حول ما تلقاه المحققون فى الدروس النظرى وهناك دروسا فى التصوير والرسم وكيفية انشاء النماذج وهذا قصد استعمال الوثيقة استعمالا جيدا.

ـ كصيانة الوثائق .

ـ وترميمها

ـ وتسجيلها فوق الاستمارة او بطاقة التعريف .

ـ ثم تطبيقها وادماجها فى موضع من مواضيع ثورة نوفمبر 54 ـ 62 وهذا فان دل على شىء فانما يدل على المجهودات الجبارة التى تبذلها السلطة الثورية والوزارة بصفة خاصة كى نحافظ على كل وثيقة من وثائق الثورة المسلحة.

وبهذه المناسبة نحث كل الاخوان المجاهدين وغيرهم الذين يملكون مثل هاته الوثائق على تسليمها حتى يساهموا فى كتابة تاريخ ثورة اول نوفمبر الخالدة .

من اعدا مولود بلقاضى





عفة المرأة المجاهدة وضمان الثورة التحريرية لكرامتها

اشتهرت الاسرة الجزائرية فى عهد الاحتلال الفرنسي، بمميزات خاصــة :

1 ــ التمسك القوى بالدين الاسلامى

2 ــ المحافظة التامة على عرض الاسرة وكرامتها .

اما ما يتعلق بالدين ، فقد بذل المصلحون فى ذلك الوقت العسير ، جهودهم الجبارة ، من أجـل الحفـاظ علـى مقوماته ومبادئه الاساسية ، وذلك باستغـلال جميـع الفرص فى الاعياد الدينية ، للتقـرب مـن الشعب تحت شعار الوعظ والارشاد بواسطة الخطب والمحاضرات .

أما ما يتعلق بالمحافظة على العرض والكرامة ، فقد جاء ذلك نتيجة لتاثير الاخلاق الدينية الاسلاميـة التـى



كانت العامل الاساسى فى بناء الشخصية الجزائريـة ، من أجل صيانتها ، وأبعادها عن كل التأثيرات الاجنبية والاستعماريـة .

ولا تزال جداتنا واجدادنا الى اليوم ، يتذكرون حلاوة تلك الحياة الهادئة المستقـرة ، وجـو الاسرة المتعـاونة المتدينة ، التى يسهر كل فرد من افرادها علـى سعادة الباقين ، وصيانة كرامتهم .

فالكبير يعطف على الصغير ، والصغير يحترم الكبير ويطيعه . الرجل يصون المرأة ، ويدافع عـن عرضهـا وشرفها والمرأة تقدس هذه الشيم الحميدة التى يتحلى بها زوجها . وهى تعمل جاهدة من أجل ان يرثهاأبناؤها وابناء ابنائها ، لانها تؤمن بان هذه الشيم ، هى التـى تنمى خلق العفة فى قلب الذكر والانثى على حد سواء .

وهذا الايمان ، قد لعب دورا هامـا ابـان الثـورة التحريرية ، فكم من ام ، وكم من عجوز ، حطمت راس العدو الماكر لان نفسه الشريرة ، كانت قـد حدثتـه بالاعتداء على شرف البنت أو العروس . ولولا خلق العفة والشرف الذين شبت عليهما المرأة الجزائرية منـذ عهد الصبا والفتوة ، لما قامت بهذا الدور — المشرف ، الذى زرع الرعب فى قلب العدو ، كما كلف النفـى والحيـاة للكثيرات من مجاهدات الجزائر .

وربما بالغت كثيرا فى تكرار بعض المفردات ، التـى تعود الناس سماعها ، وسئم البعض من تكرارها ، مثل: العفة . الكرامة . الشرف . العرض . الخ ... ولكننى ارمى من وراء ذلك ، الى ابراز نتائج هذه الاخـلاق الحميـدة ودورها الكبير فى انجاح الثورة التحريرية المباركة ، التى خاضها الشعب الجزائرى برجاله ونسائه .

وهذا الجانب الاخلاقى ، له من الاهمية ما للجانـب المادى ، أى : جانب القوة والسلاح .

الحجـة العاشـة

ففى سنة 1954 ، اندلعت الثورة التحريرية ، وعـلا صوت الجهاد والكفاح فى كل شبر من ارجاء الوطـن ، افقد المستعمر رشده وتوازنه . فسارع ببث الدعايـات الكاذبة ، والخرافات المزيفة ، مستعملا فى ذلـك كـل وسائل الاخبار والاقناع ، سواء اكان ذلـك بواسطـة الاذاعة ، أو بواسطة المرتزقة والخونة . فكـان — أول سلاح استعمله العدو ، هو : الجانب السيكولوجـى ، أو المس بالجانب الاخلاقـى ، بحيث استعمـل لفظـة (الفلاقة) مكان لفظة المجاهدين ، التى ينطق بهـا كـل افراد الشعب صغارا وكبارا . ثم ادعى للشعب الجزائرى، بأن هؤلاء المعتصمون بالجبال والصخور،ما هم فى الحقيقة سوى شرذمة من السفاحين والمجرمين هويتهم الوحيدة، هى التذبيح والتمثيل وبث الرعب والهلع فى قلوب الامنين.

ولما فشلت هذه الطريقة المختارة ، اكتشفـوا لعبـة جديدة قذرة تتمثل فى اتهام المجاهدين بانهاك الحرمات ، والفتك بالعرض والكـرامة أمام عيون العجزة والابرياء .

ومن هنا ، تتبين لنا أهمية هذا الجانب الاخلاقـى ، الذى اعتمده العدو ، للوصول الى الغايـة التى يرمـى اليها ، الا وهى أبعاد الشعب عـن الثورة ، واصرافـه عن الاهتمام بما يقوم به المجاهدون يوميا مـن اعمـال وتضحيات وبطولات . ولكن العدو كان مخطئا فى مرماه ، لان المجاهدين كانوا متصلين بجميـع فئـات الشعب فى الوطن ، من بدايته الى اقصاه ، رجالا ونساء ، شيوخا





وأطفالا ، الذين كانو يعملون بنشاط وينفذون جميع قرارات المجاهدين بشجاعة وعزم وثبات .

وخلافا لما كان يتوقعه العدو ، فانه لم يعد هناك فرقا بين الرجل والمرأة ، لان الثورة فى نظر الجميع ما هى الا وحدة لاتقبل التجزئة والتقسيم ، وتتطلب وحدة الشعب من أجل تحقيق ألاهداف الثورية وتحقيق النصر والحرية الكاملة .

وانضمت المرأة الجزائرية الى صفوف المعركة ، وكلها استعداد وشجاعة وكرامة ، مثل أخيها الرجل ، سواء بسواء ، لانهم شبوا جميعا فى بيئة واحدة ، متمسكين بايمان واحد ، وشيم اخلاقية واحدة ، فتحققت بذلك الوحدة الكاملة فى جميع تراب الوطن . وأقصد بالوحدة هنا ، ذلك التكاتف والتعاون المتين بين الانسانين أى : ألرجل والمرأة ، الذان يربطهما عمل مشترك مقدس، الا وهو الكفاح من اجل تحرير الوطن .

ومن هنا ، يجدر بى أن أقول ، وأقولها بكل صدق وصراحة ، بان كلمة القرن العشرين : (المساواة) التى تلوكها بعض الالسنة اليوم ، لم تخطر على قلب امرأة واحدة ، فى عهد ثورة التحرير المباركة فالمرأة الجزائرية ، لم تخض المعركة ضمن صف أو حزب نسائى خاص ، انما هى كانت قد واجهت المعركة والموت ، كانسان مع اخيه الانسان ، جمعت بينهما فكرة مشتركة نبيلة ، فى أرض مشتركة مغتصبة ، يجب أن تسترد من العدو ، وأن تطهر من الاستعمار .

الفكرة المشتركة ، العفة ، ألكرامة ، ألانسانية ، تلك هى الصفات التى جعلت من الرجل الجزائرى ، والمرأة الجزائرية أنسانا وأحدا ، وطاقة هائلة واحدة ، وحزبا واحدا قويا ومستعدا لتغيير المصير ، وبناء ألوطن .

ولم يكن للمجاهد بيت خاص ياوى اليه ، بعد أن فارق أهله وبيته لينضم الى معركة الكفاح والنضال ولكنه قد وجد فى كل مكان اتجه نحوه، بيتا مثل بيته ، وأهلا مثل أهله . فاينما توجه ، فهناك ــ بيته وأكله ،وشربه وراحته ونومه ، تستقبله المرأة ، ويستقبله الرجل. تعالجه المرأة ، مثلما يعالجه الرجل ، وهو يطلب يد المساعدة من المرأة ، مثلما يطلبها من الرجل ، ولافرق بينهما فىذلك مناجل مسيرة واحدة، وكفاح مشتركواحد.

والمرأة ، مدينة للثورة التحريرية المباركة ، لانها هى التى ضمنت لها حقوقها وكرامتها الانسانية وحررتها من العبودية ، ومن جميع التقاليد البالية الموروثة عن الحكم الاستعمارى الظالم .

ان المرأة التى كافحت فى المدن وألقرى ، وألتحقت بالجبال لخوض ساحاتالقتال ، وماتت شهيدة فى سبيل تحرير نفسها ووطنها، لمدينة لهذهالثورة المقدسة الىالابد.





